أبيدوس

رواية من أدب التشويق و الخيال

د . غفار محمد

إهداء :

إلى أولئك الذين يُصغون للكلمات كما لو كانت نبوءات،
ويؤمنون أن في كل جملة مأوى، وفي كل قصة خلاص ..
إلى عشّاق الأدب الذين يمنحون اللغة حياةً أخرى..
وإلى مشجعي الكُتّاب الذين يرون في الحبر نورًا، لا حرفة
أكتب هذه الصفحات، لا لتُفهم... بل لتُحسّ
أنتم النبض الذي يجعل للكلمة طنينًا أبعد من الورق،
وللحكاية عمرًا أطول من راويها ..

أبيدوس ..

أنت هنا في عالم الخيال، وكل تشابه مع الواقع في الأسماء وكثير من الأماكن هو محض صدفة ..

أبيدوس ..

المحتويات :

- الليلة الأخيرة بعد الألف ..
  - القادمون من وراء الضوء..
- أقراص دروبا ..
  - كهوف تاسيلي ..
- تماثيل أكامبارو ..
  - تسونامي صحفي ..
- هيكل أتاكاما ..
  - مدرسة زيمبابوي ..
- فالين سولي ..
  - طائفة أبيدوس ..
- لغم روزويل
  - شهود باكستون ..
- القربان الأخير ..

الفصل الأول

الليلة الأخيرة بعد الألف

الولايات المتحدة الأمريكية

فيرمونت / كيلينغ تون ..

2035 م ..

كان الليل يلف الغابة كسجادة سوداء ثقيلة و يغطي الطريق الترابي الضيق بين الأشجار الطويلة فيخفي كل شيء تحت عباءة من الصمت. سار **كايلي** على ذاك الطريق عائداً إلى منزله بعد سهرة صاخبة شرب فيها حتى ثمل ، فمن الأعراض الشهيرة لمرضه (**الاضطراب ثنائي القطب**) هي الهوس و الاحتفال و الإدمان .. كانت خطواته تخترق التراب الرطب، فتصنع صدىً ينساب بين الجذوع لاسيما عندما تتكسر الأوراق اليابسة تحت نعليه ..

الهواء يلتصق ببشرته، يحمل رائحة التراب والأوراق

المتساقطة، كما لو أن الغابة أرادت أن تتحدث إليه بدون كلمات، أن تنقله إلى عالمها الخاص. الريح تتلوى بين الأغصان، همساتها تتشابك مع صرير الحشرات وخرير الماء البعيد، ومع صدى خطواته، فتخلق سيمفونية غريبة بين الواقع والخيال، جعلته يشعر بأنه جزء من الليل نفسه، جزء من الغابة التي كانت تحياه بصمتها المخيف.

فجأةً و بدون مقدمات، لمح بين أعماق الظلال وهجًا نابضًا غريباً .. ضوء أزرق يميل إلى البياض، ينبعث من فراغ بين الأشجار الملتفة . يتحرك بخفة، يلمع ويخبو في تناغم غامض مع الظلام، كأنه كائن حي يحاول لفت انتباهه. ارتجف قلبه للحظات ، لكن سرعان ما سبقته خطواته نحو مصدر الضوء بدون تردد ، فسكره أطفأ عقله ، و فضوله تفوّق على خوفه .. شيءٌ ما بداخله شرع يصرخ بجنون : اقترب، اكتشف، واجه المجهول.

اقترب خطوة خطوة، و مع كل خطوة تزايد شعوره بالدهشة والرهبة. التراب الرطب يلتصق بأحذيته، أوراق الأشجار تهتز بخفة مع نسيم الليل، كل شيء حوله بدا حيًا، يتنفس، يراقبه .. و حدسه يخبره أنه على وشك رؤية شيء لم يره هو أو أي بشريّ من قبل. الضوء الغامض كان ينبض، يخلق ظلالًا متحركة على الأرض وعلى الجذوع وعلى وجهه، يعكس تناغمًا يبث كل أنواع الفزع و الفضول في النفس.

وصل أخيراً إلى مساحة خالية من الأشجار كان الضوء ينبعث منها .. وقف مذهولاً كمن أصابته سكتة دماغية. فأمام

عينيه انتصب مجسم معدني ضخم، مستدير ولامع، ينبعث منه ذلك الضوء بتواتر ساحر. لم يكن مجرد معدن؛ كان شيئاً آخر، شيء لم يؤمن به العقل بعد .. طبق طائر !!.

= *يا إلهي الكائنات الفضائية حقيقية بالفعل ؟!*

همس لنفسه ...

ارتجف جسده أكثر ، تناسلت في عقله صورهم، تلك الأجسام الغريبة التي شاهدها في الأفلام و سمع عنها من القصص منذ الصغر .. و رؤية طبق طائر- فضائي على الأرجح - جعلت الدم يتجمد في عروقه.

انعكاسات الضوء تراقصت على الأرض الرطبة تحته لتخلق لوحات من ألوان الطيف، تضج بالحياة وتهمس بأسرار و أسئلة لا نهاية لها .و وسط ذلك كله وقف كايلي، عيناه متسعتان على آخرهما، مشاعره تتقلّب كزوبعة بين الرهبة والفضول، بين الشغف بالمجهول والخوف من حقيقة قد تغير حياته إلى الأبد. الريح حركت الأغصان حوله بموسيقى رعب تصويرية فصنعت ظلالًا متحركة أكثر رعباً، تخللتها أصوات الليل، مما جعل المكان يبدو مسرحًا لأحداث سيئة قادمة مرتقبة ..

شعر أن الغابة كلها تراقبه، تهمس له بلغة لا يفهمها، لكنه شعر بها في أعماقه : **ثمة شيء بدأ للتو ، شيء سيتغير و**

يغير، شيء أكبر من كل ما عرفه من قبل طوال سنين حياته . ظل واقفًا هناك، مستسلمًا للرهبة، مفتونًا بالمظهر المهيب، مدركًا أن هذه اللحظة - مع الضوء، مع المجسم، مع الفكرة التي اجتاحت عقله عن الكائنات الفضائية - ستبقى محفورة في أعماقه حتى آخر لحظة من حياته.

ظل كايلي واقفًا لدقائق ، جسده مشدود و متشنج ، يحدق في المجسم المعدني الضخم أمامه كيف يلمع بطريقة تتجاوز أي خيال و تملكه شعور أقرب إلى التنويم المغناطيسي ..
سيطرت على نفسه فجأة رغبة ملحة لتوثيق اللحظة، كي يحميها من النسيان، أو ليشارك العالم بهذا المشهد الذي يفوق أي وصف بالكلام العادي . إنه ثمل الآن و التصوير سيكون الفيصل غداً بين الحقيقة و الوهم عندما يستيقظ و يعود إلى رشده ..

أخرج هاتفه من جيبه بيدٍ ترتجف، شاشة الهاتف عكست بريق الضوء، وكأنها مرآة صغيرة للمجسم نفسه.. ثم بدأ بتسجيل الفيديو، ثبّت الهاتف بيدٍ تكاد لا تطاوعه ، ركّز العدسة على المجسم، على الأضواء المتراقصة، على كل حركة في المكان. كل شيء من حوله بات الآن مشهدًا حيًا يوثقه، يوثق لحظةً قد لا يصدقها أحد في الغد.

و بينما كان منغمساً في ذاك التوثيق ، اهتز الهواء فجأة على نحوٍ مباغت. انبعث صوت خافت ، ثم بدأ يصخب كحركة كائنات ضخمة تخترق الظلال. ارتجف قلبه، وشعر كما لو أن الغابة نفسها تحركت في لحظة واحدة .. ثم كل شيء صمت كلحظة هدنة ، و عاد بعدها ليتعالى بشكل أعمق

وأكثر غموضًا.

ثم من الظلال بين الأشجار خرجت ثلاثة كائنات، تتحرك بخفة مفاجئة على الرغم من حجمها الكبير. لم تكن بشرية، بل لم تكن كأي مخلوقات عرفها العقل البشري. أجسادها طويلة، نحيلة، و تلمع تحت ضوء المجسم الذي بدوا عائدين إليه، عيونهم متوهجة، تتلألأ بألوان لم يرها من قبل.

= *يا إله العرش .. مخلوقات فضائية !!*

همس لنفسه بصوت مخنوق مرتجف ..

تجمد في مكانه كمن نظر في عيني الأسطورة الإغريقية الميدوزا ، للحظة كاد هاتفه الذي يسجل كل شيء يسقط من يديه لكنه أحكم قبضته عليه بشكل انعكاسي غير واعٍ .. بينما اقتربت الكائنات خطوة إثر خطوة، يسيرون بصمت غير عادي، لكن وجودهم ملأ الهواء بصوت غامض، كاهتزازات تثير صدى في عظامه. انعكاسات الضوء من المجسم على

أجسادهم خلقت منظراً ساحرًا ومرعبًا في الوقت ذاته : ألوان نابضة، أشكال متغيرة، تحركات سريعة تبدو أحيانًا كرقصة، وأحيانًا كتهديد صامت.

فجأة، استيقظ كايلي من صدمته و تأكد أنه لا يستطيع الاستمرار، الخطر بات أكبر من الفضول، أنزل الهاتف وأغلق تسجيل الفيديو بسرعة، شعر بثقل في صدره، كأنّ جزءًا من الواقع نفسه اختفى مع توقف التسجيل.

ركض على الطريق الترابي و قلبه ينبض بسرعة، كل عصب في جسده متوتر، شعور بالذعر سيطر عليه من رأسه حتى أخمص قدميه .. خطواته تقطعت، و تردد صداها في الغابة الصامتة .. الريح تلسعه من جميع الجهات، الأغصان تصطدم بوجهه، وصوت الكائنات يلاحقه في صمت الليل، لكنه لم ينظر خلفه. كل ما يهمه هو الهرب، البقاء على قيد الحياة، الوصول إلى الضوء البعيد الذي يرمز إلى الطريق الآمن.

مع كل خطوة، شعر كايلي بثقل اللحظة، بحجم الرهبة التي سيحملها في داخله إلى الأبد. الغابة لم تعد مجرد مكان مألوف و مطمئن، الضوء لم يعد مجرد وهج جميل و مسالم، والمجسم لم يعد مجرد معدن غريب كغيره... لقد أصبح كل شيء مرتبطًا بشيء أكبر، شيء لم يؤمن به من قبل ، شيء على وشك أن يغير حياته و ربما الحياة البشرية بالكامل.

في النهاية، وصل إلى حافة الغابة و هو يلهث، أعماقه تصرخ بخليط من الرهبة والدهشة، عيناه لا تزالان تلاحقان

الأجسام الغريبة التي اختفت بعيداً بين الأشجار. شعر أنه لم ينجُ من هذه اللحظة فحسب، بل دخل عالمًا جديدًا، عالمًا سيطارده بلا شك في أحلامه ويلاحقه في يقظته، عالمًا بدأت فيه الحقيقة والخيال بالالتقاء بطريقة لم يتنبأ بها في يومٍ من الأيام .

****

عاد كايلي إلى منزله مع اقتراب الفجر، خطواته ثقيلة ، جسده منهك من الركض والخوف، وعقله مشحون بمشهد الضوء النابض والمجسم والكائنات الغريبة. كان يسير في الشوارع شبه الفارغة، كل ظل في الطريق، كل شجرة على الرصيف، يذكّره بما حدث منذ دقائق. وصل إلى غرفته، أغلق الباب خلفه بصمت، وجلس على حافة السرير، وضع رأسه بين كفيه يحاول ترتيب أفكاره، لكنه لم يتمكن من تصديق ما حدث معه، لم يصدق أنه أصبح شاهداً على شيء يتحدى كل المنطق البشري.

ظل مستلقيًا على السرير لساعات، يفكر في كل تفصيلة : الضوء الذي ينبض، الطبق الطائر ، الكائنات الفضائية ، الصوت الغريب للغابة، والرهبة التي سيطرت عليه. الليل تقدم ببطء، وأخذ معه نومه الذي جاء متأخرًا، مليئًا بكوابيس متشابكة : **كائنات تتلاشى وتظهر، أضواء تتراقص في كل زاوية، ظلال تتسلل إلى غرفته، وأحاسيس بالرهبة والدهشة تتداخل مع خوف لا يمكن تفسيره.** استيقظ عدة مرات، قلبه ينبض بعنف، يلتقط أنفاسه، يشعر بأن شيئًا من

الغابة تبعه إلى منزله و لم يتركه آمناً حتى في عقر داره ..

في صباح اليوم التالي، استيقظ متأخرًا، الشمس تستعمر الغرفة و تلقي بضوئها على وجهه .. صداع عنيف يجتاح رأسه و رواسب الأمس لا تزال عالقة بين تلافيف دماغه ..

اغتسل ، أفطر و هو يفكر فيما ينبغي عليه فعله .. ثم جلس يتابع التفكير و هو يحتسي قهوته .. أخرج الهاتف، شاهد الفيديو الذي سجله الليلة الماضية، كل ما جرى كان حقيقياً يتجسّد على الشاشة أمامه موثقاً الحادثة .. لم يكن يتوهم إذن ، لا سكر لا حلم و لا هذيان !!

مضت ساعاتٍ من التفكير العميق قرر معها أن يشارك العالم تجربته ، فما حدث معه ليس عادياً بكل تأكيد ، إنه دليل لا لبس فيه على حقيقة وجود فضائيين في الكون ، فكيف يحتفظ به لنفسه و حسب ؟! غير منطقي أو مقبول ، ناهيك أن تجربته الفريدة تلك تفيض في وجدانه و تصارع كي تخرج إلى العالم كي يرتاح نفسياً ..

جلس إلى حاسوبه ثم رفع الفيديو على قناته على اليوتيوب. كتب وصفًا مفصلاً عمّا حدث، عن الضوء، عن الطبق الطائر ، عن المخلوقات الفضائية ، عن الرهبة التي اجتاحت قلبه، وعن الفضول الذي دفعه للتصوير. ثم ضغط على زر النشر، وهو يشعر بمزيج من الترقب والخوف. كان يعلم أن مثل هكذا فيديو سيثير ضجة، وأنه لن يمر مرور الكرام.

وبالفعل، لم تمض ساعات قليلة حتى بدأت أعداد المشاهدات تتصاعد بشكل جنوني .. المئات، ثم الآلاف، ثم الملايين.

وبدأت التعليقات تنهال على الفيديو ، سيل من الكلمات بين مصدق مذهول، ومكذب شكاك، وكل نوع من البشر يعبر عن مشاعره بطريقة عفوية وصاخبة. البعض كتب تعليقات مرتعشة من الدهشة، البعض الآخر تلاعب بالكلمات ليشكك في كل شيء، وصار الفيديو محور نقاش واسع في دوامة من الشك والتساؤل.

شعر كايلي بمزيج غريب من الرهبة والدهشة والفخر. لقد أصبحت تجربته الشخصية ، لحظته الفريدة، جزءًا من جدل جماعي ضخم ، يرى كيف أن العالم كله يتفاعل مع ما شاهده، مع شعوره، مع خوفه وفضوله.

انتشر الخبر بسرعة كالنار في الهشيم، وكأنّ العالم كله كان ينتظر لحظة كهذه ليجد سببًا يهدد المألوف ويثير الفضول الجامح. وسائل الإعلام التقليدية ووسائل التواصل الاجتماعي ضجت باسم الشاب العشريني **كايلي مورو** وقصته، كل قناة تلفزيونية، كل صحيفة إلكترونية، وكل حساب على الإنترنت بدا وكأنه يتسابق للحصول على السبق .. على التفاصيل الأولى، للمشهد الأول، لتسجيل الفيديو الذي حير الملايين.

اتصلت به أولى القنوات قبل أن ينهض من فراشه في اليوم الرابع بعد الحادث ، أصوات المذيعين المليئة بالدهشة والتوتر تسللت من الهاتف إلى غرفته فجعلت قلبه يخفق بشكل جنوني .. كتب الصحفيون تقاريرهم بعناوين صاخبة : (**شاب أمريكي يوثق ظهور طبق طائر غامض وكائنات فضائية ؟**) ، (**فيديو مذهل يثير الرعب والدهشة على الإنترنت**) ، (**الضوء الغامض والمخلوقات الغريبة ... هل**

كل هذا حقيقي ؟)

لم يمضِ وقت طويل حتى تدخل خبراء التكنولوجيا و مختصون في تحليل الفيديوهات والتصوير الرقمي، كل واحد منهم دقق في كل بيكسل، في كل انعكاس، في كل حركة ضوء، وفي كل ظلال على الشاشة. وأعلنوا بعد دراسة دقيقة ومقارنة علمية :

(الفيديو حقيقي مئة بالمئة، لم يتم التلاعب به بأي شكل من الأشكال.. لا CGI و لا غيره) ..

و منذ تلك اللحظة تغير كل شيء .. وسائل الإعلام ضجت بالخبر الصاعق أكثر من قبل ، ووسائل التواصل الاجتماعي غزيت بآلاف التغريدات والمنشورات عن الدليل الجديد الدامغ على وجود الفضائيين ، فتضاعفت مشاهدات فيديو كايلي أكثر فأكثر ..

جلس أمام شاشة الكمبيوتر، يحدق في كل تفاعل، في كل فيديو يعيد نشر الفيديو الأصلي، في كل تقرير إعلامي، وفي كل تعليق يحمل الرهبة والدهشة. لقد أصبح محور حديث الناس و الصحافة بين ليلةٍ و ضحاها .. و حتى في صمته، شعر بأن العالم كله يراقبه، يهمس له بصوت جماعي :

(أي باب فتحته على الكون الغامض ؟)

دخل كايلي إلى صخب الإعلام وكأنه دخل قاعة من مرايا لا تنتهي .. كاميرات بلا عدد كانت تلاحقه أينما ذهب ..

في إحدى مقابلاته التلفزيونية الكثيرة سألته المذيعة بفضول واضح :

= كايلي، هل شعرت بالخوف ساعتها ؟ أم أن الدهشة كانت هي المسيطرة ؟

تنهد ببطء ثم أجاب :

= لا يمكن وصف ما عشته بكلمات بسيطة .. إنه شيء يفوق الوصف. شعرت بأن كل لحظة في الغابة كانت الأبدية ، وكأنّ الوقت نفسه توقف ليفسح لي المجال لتوثيق اللحظة الفاصلة ..

لكنّ الضغط النفسي عليه لم يتوقف عند هذا الحد. الصحف الإلكترونية والقنوات الإخبارية بدأت تنشر تحليلات مفصلة عن الفيديو، وعن شخصية الشاب الذي وثق اللحظة. **خبراء في التصوير الرقمي، مختصون في الظواهر الغريبة، وحتى علماء النفس،** جميعهم كانوا يعلقون على ما شاهده العالم، كل منهم يضيف زاوية جديدة للتفسير، وكل ذلك يضيف مزيدًا من التوتر على كايلي .. فتشعب الحديث عن تلك الليلة العجيبة و كأنها الليلة الأخيرة بعد الألف من سرديات ألف ليلة و ليلة و لا ليلة للبشرية بعدها..

أصبحت حياته اليومية مستحيلة. أي رسالة، أي بريد إلكتروني، أي طلب مقابلة، كان يضيف طبقة جديدة من المسؤولية، وكل كلمة يخرج بها أمام الكاميرات كانت محملة بعشرات المشاعر المختلطة : **خوف من عدم الفهم، رهبة من اكتشاف ما وراء الحدث، وإحساس متزايد بأنه أصبح جزءًا من حدث عالمي يفوق توقعاته.**

مع مرور الأيام، بدأ يدرك أن القصة لم تعد ملكه وحده. كان يعلم أن هذه المرحلة ليست مجرد لحظة شهرة عابرة ، بل بداية رحلة جديدة، رحلة سيصعب فيها الفصل بين ما شاهده وما أصبح العالم يؤمن به.. بين أسطورة الفضائيين و وجودهم المؤكد .. و أن كل ذلك سيحدث على يديه ..

الفصل الثاني

القادمون من وراء الضوء

الولايات المتحدة الأمريكية

تكساس / دالاس ..

2035 م ..

كانت ملامحه كمن خرج من ليلٍ طويل من البحث في المجهول. وجهه نحيل محفور بخطوط السنين، وجبهته العالية تحيطها خصلات رمادية تنسدل بخفة على جانبي رأسه، كأنها آثار دخانٍ من نارٍ فكرية لم تنطفئ يومًا. عيناه الزرقاوان ليستا هادئتين، بل حادتان كعدستي مقرابٍ تفتشان عن حياة في البعيد. وكان في صوته شيء من البرد العلمي الممزوج بحرارة الإيمان بما يقول، ذلك النوع النادر من الأصوات التي تجبرك على الإصغاء لا لأنك تريد، بل لأنك لا تستطيع إلا أن تفعل.

الدكتور **ناثانيال كورن**، ذو الخمسة والستين عامًا، بدا ككائن من زمنٍ آخر ، لا يعرف المزاح، لا يبتسم إلا نادرًا، وإن فعل فابتسامته أقرب إلى ظلال فكرة منها إلى تعبيرٍ عابر. يحمل في حضوره مزيجًا مدهشًا من الصرامة الأكاديمية والغموض الآسر؛ ذلك الغموض الذي جعل البعض يظنه يخفي أكثر مما يقول. كان الناس يصفونه بأنه (الرجل الذي يتحدث كما لو كان قد رآهم) ، و يقصدون الكائنات الفضائية.

في الأسابيع التي سبقت محاضرته الكبرى في مدينة دالاس، لم يكد يخلو يوم من ذكر اسمه في وسائل الإعلام. مقاطع

ترويجية غامضة بثّتها القنوات، ظهرت فيها صور لسماء تموج بالأضواء المجهولة وصوت ناثانيال العميق يقول:

(الحقيقة ليست هناك ... بل كانت دائمًا هنا)

تسارعت التوقعات لاسيما عقب حادثة الشاب كايلي التي ملأت الدنيا و شغلت الناس .. صفحات الجرائد امتلأت بالعناوين :

(هل يكشف كورن أخيرًا عن دليلٍ قاطع آخر ؟)

(أسرار من المخابر السرية ... أم من عوالم أخرى ؟)

حتى مواقع التواصل انفجرت بالجدل؛ البعض وصفه بأنه (إنديانا جونز الكون) ، والبعض الآخر عدّه (أقرب إلى متنبي علميّ جديد)

في صباح اليوم الموعود، اكتست شوارع دالاس بشيء من التوتر الغامض. السيارات تصطف قرب قاعة (المنتدى الكبير) ، واللافتات تلمع تحت شمسٍ خريفية دافئة :

(محاضرة ناثانيال كورن : القادمون من وراء الضوء)

القاعة نفسها كانت تحفة من الخشب الداكن والزجاج اللامع، تتدلى من سقفها مصابيح تشبه نجومًا محتجزة في فضاء منظم. مئات المقاعد امتلأت بألوانٍ من البشر : علماء، صحفيون، طلاب جامعات، ووجوه فضولية جاءت فقط لتشهد الحدث الذي لم تتوقف القنوات عن الحديث عنه. في

الصفوف الأمامية جلس بعض من كبار علماء الفيزياء الفلكية بملامح متجهمة، وكأنهم ينتظرون خصمًا فكريًا أكثر من باحثٍ محاضر. أما في الخلف، فقد تجمّع هواة الظواهر الغامضة، يحملون دفاتر ومقاطع فيديو لهواتفهم مفتوحة استعدادًا لتوثيق كل لحظة.

بدأت الأضواء تخفت تدريجيًا، وساد القاعة همس خفيف كحفيف أوراقٍ في ممرٍ طويل. على المنصة، وُضع منضد زجاجي عليه كوب ماء وجهاز عرض، وخلفه شاشة ضخمة سوداء تنتظر أن تُضاء.

ثم، من جانب المسرح، دخل ناثانيال كورن.

لم يرافق دخوله أي موسيقى أو تصفيق صاخب؛ بل كان المشهد أشبه بظهور ظلٍّ من بين العتمة. ارتدى بذلة رمادية داكنة، وربطة عنق بسيطة بلون السماء. خطا بثباتٍ بطيء، كأن كل خطوة محسوبة ضمن تجربة دقيقة. لم ينظر إلى أحد في البداية، بل وقف وسط المنصة، رفع رأسه قليلًا، وحدّق في القاعة كمن يتأكد من وجودهم حقًا.

ثم فجأة، ابتسم تلك الابتسامة الغامضة ، قصيرة، لكنها أربكت الجميع.

قال بصوتٍ هادئٍ يشبه نغمة رجلٍ يحدث شخصًا واحدًا لا مئات :

= قبل أن أبدأ... أريد أن أطرح سؤالًا واحدًا فقط : كم منكم

يؤمن أن الحقيقة تبدأ بالتصديق، لا بالاكتشاف ؟

لم يرفع أحد يده في البداية. تبادل الناس النظرات المرتبكة، ثم ارتفعت أصوات خفيفة هنا وهناك. ابتسم ناثانيال مجددًا، وقال بنبرةٍ أكثر دفئًا :

= جيد ... إذن نحن في المكان الصحيح. لأن الليلة، لن أحدثكم عن الكائنات الفضائية كما يتخيلها الناس ... بل عن الكائنات التي ربما كانت تنظر إلينا الآن، ونحن نحاول تفسير وجودها.

اقترب من الطاولة، وضع كوب الماء جانبًا دون أن يشرب منه، ثم أطفئ آخر ضوءٍ فوق المنصة. انغمرت القاعة في شبه ظلام، في حين ظهرت على الشاشة العملاقة حلفه صورة لكائنات فضائية ..

وفي تلك اللحظة، قبل أن يبدأ حديثه، ساد صمت ثقيل...

صمت يشبه اللحظة التي تسبق انكشاف السر ..

= لا شك أنكم سمعتم جميعاً بقصة الشاب كايلي الشهيرة و التي ليست سوى امتداد لمئات القصص التي سبقتها عن احتكاك بشر بالفضائيين ، مما يفرض علينا سؤالاً جوهرياً:

((هل هذا الكون الشاسع مقتصر على وجودنا نحن البشر كجنس واعٍ وحيد فيه ؟ أم أنّنا نعيش على شريحة تحت المجهر مفترضين أن لا غيرنا في المحيط ، في حين أنّ الفضاء من حولنا في الواقع يعجّ بأجناس واعية أخرى على كواكب بعيدة فيه))

في الحقيقة هذا السؤال طُرح سابقاً و منذ عقود من قبل العالم الأمريكي الإيطالي **إنريكو فيرمي** بمفارقته الشهيرة (**مفارقة فيرمي**) عام **1950** م التي تقول :

((أين الجميع ؟))

و قصد به غيرنا من الكائنات في الفضاء الواسع .. لقد أطلق عليها مفارقة لأن اتساع الكون الشاسع يفترض بقوة وجود حياة أخرى فيه و بنفس الوقت عدم اتصالها بنا طوال السنين الفائتة يضع إشارات استفهام قوية و يفترض بقوة أيضاً أن لا وجود لها .. لذا فهي معضلة بلا حل نهائي حاسم حتى اللحظة ..

و سنقوم اليوم في هذه المحاضرة بدحض الفرضية التي يدعي فيها أغلب البشر بغرور الإنسان المعهود بأنهم الجنس

الواعي الوحيد في الكون عبر الإجابة عن هذا السؤال الهام (أين الجميع ؟) محاولين التوصل إلى إجابة شافية عليه .. و سننجز ذلك من خلال تفنيدها عبر أربعة محاور أساسية (ديني ، علمي ، حوادث ، و اكتشافات) لنتوصل إلى خلاصة مفيدة بهذا الخصوص ..

صمت قليلاً و هو ينقل نظراته الحادة كنصل سيف بين الحضور ثم أردف :

= لنبدأ بالمحور الديني ، و هو شحيح بالأدلة أو الأحاديث عن خلق آخرين غيرنا في الكون سواء في الأديان السماوية أو الأرضية كما تتوقعون ، و لكن هنالك آية في القرآن كتاب الله عند المسلمين أشارت إلى هذه الفكرة بطريقة صريحة و مخيفة إلى حدٍّ ما و تقول :

((و من آياته خلق السموات و الأرض و ما بث فيهما من دابة و هو على جمعهم إذ يشاء قدير))

فكما تلاحظون مقدار غرابة و أهمية هذه الآية القرآنية التي تتحدث بشكل صريح عن خلق الله لكائنات حية أخرى في الكون و قدرته إن شاء على جمعنا بهم .. أعلم أن بعضكم يسأل نفسه الآن بتعجّب :

((**لكن ألا تقصد الآية بدواب السماء (الطيور)** ؟))

و الجواب ببساطة و من منطلق علمي و لغوي أنّ الدواب هي ما تدب على الأرض و لا تطير .. زد على ذلك أننا على تواصل دائم و مباشر بالطيور فما الغرابة بأن يجمعنا الله

تعالى بهم ؟ .. إذاً الآية تشير بشكل واضح إلى صعوبة التقائنا بالمخلوقات الكونية الأخرى لأسباب عديدة منها بعد المسافات في الكون الشاسع لكن الله تعالى قادر على تحقيق ذلك بسهولة متى شاء ..

صدرت بعض صيحات الدهشة هنا و هناك ، فابتسم و تابع :

= ننتقل إلى المحور الفلسفي ، فلا يمكن لهذا الكون الشاسع أن يقتصر على الحياة على كوكب الأرض فقط فهو منافٍ للعقل و للحسابات الرياضية.. فهناك ما يقدر بنحو **200 - 400** مليار نجم في مجرتنا العزيزة درب التبانة و **70** سيكستيليون نجم في الكون المرصود .. و حتى لو نشأت الحياة الذكية على نسبة ضئيلة فقط من الكواكب حول هذه النجوم يكون احتمال وجودهم هائلاً .. فالأرض تمثل في هذا الكون حبة رمل من شاطئ مجرة درب التبانة التي هي بدورها حبة رمل من شاطئ مجرات الكون .. فهل تقتصر الحياة على حبة الرمل هذه من بين كل هذه الشواطئ الفسيحة .. أمر يخالف المنطق ، الحساب و الاحتمال الرياضي .. أليس ذلك صحيحاً ؟!

أومأ الحضور برأسه باقتناع :

= أما بالنسبة لمحور الحوادث ، فهو يشمل الحوادث التي ادعى فيها بعض البشر رؤية صحون طائرة أو حتى فضائيين .. في الحقيقة التاريخ يعج بمثل هذه القصص و لا مجال لذكرها جميعاً الآن ، لذا سنكتفي بمثالين فقط على سبيل الإيضاح كإضافة إلى قصة صديقنا كايلي .. أولهما

قصة اختطاف الزوجين بيتي و بارني من قبل الفضائيين عام **1961** م و دراستهما ثم إعادتهما خلال رحلة عودتهما من **كندا إلى الولايات المتحدة الأمريكية** .. ثم لدينا أيضاً قصة سكان **قرية رانشو بالو** في **المكسيك** الذين رأوا بأم العين فضائيين عام **1994**.. و غيرها من القصص كثير و كثير.

صمت قليلاً ثم أردف بصوته الثابت العميق :

= لننتقل مباشرةً إلى محور الاكتشافات المثير ، و الذي يشمل جميع الاكتشافات الغريبة التي توحي بلمسة فضائية ، و هي أيضاً غزيرة للغاية لذا سنكتفي بذكر أشهرها مجدداً :

❁ **الهياكل العظمية الغريبة الشبيهة ببنية الفضائيين التي عثر عليها و أشهرها :**

- **مومياوات عالم الآثار ويليام بيتري** في مصر ..
- **مومياوات المكسيك** التي عرضت على البرلمان المكسيكي عام **2023** م ..
- **هياكل باراكاس** في البيرو ..

و المشترك بين جميع هذه الهياكل هو البنية الغريبة غير البشرية الشبيهة ببنية الفضائيين كما صورهم من ادعى رؤيتهم عيانياً ..

❁ **الإشارة اللاسلكية الغريبة التي التقطها التلسكوب الراديوي لجامعة أوهايو في عام 1977 م** الموجهة من مصدر ذكي لا يبتعد كثيرا عن كوكب الأرض .. ومن الفرضيات التي ظهرت حينها أن هذه الإشارة و التي دعيت

واو Wow صدرت من مركبة فضائية كانت تمر بالقرب من الأرض .. لكنها تبقى مجرّد فرضية لا أكثر و إن لم يتمكن العلماء من وضع فرضية علمية بديلة مثبتة و منطقية لها ..

❁ **العثور على معادن صنعية غريبة في صحارى متعددة في إفريقيا** لم تكتشف في أي مكان آخر من العالم كما لم يتوصل الإنسان بعد إلى صنع معادن شبيهة بها و يعتقد البعض أنها تعود لحطام صحون طائرة متطورة ..

❁ **الهياكل المعمارية الضخمة التي شيدها الإنسان منذ آلاف السنين بدقة و إعجاز** و لم يتمكن العلماء من تفسير آلية بنائها كأهرامات مصر و الهنود الحمر و التي تفترض بعض الفرضيات أنها تمت بمساعدة كائنات فضائية متطورة إذ لا تفسير علمي مقنع لكيفية تشييدها حتى اليوم ..

❁ **آثار لتماثيل غريبة غير مفسرة** .. و أشهرها :

- **تحف كويمبايا** و هي عشرات القطع الذهبية غريبة الشكل و تمثل مجسمات لهياكل طائرة على نحو غريب لا يتناسب مع الحقبة الزمنية التي اكتشفت فيها ..

و قد عثر عليها في دولة كولومبيا .. ففي تلك الفترة لم تكن الطائرات قد أبصرت النور بأي شكل من أشكالها فنحن نتحدث عن عشرات القرون خلت من الزمن ..

- **تماثيل دوجو اليابانية** : و هي مجموعة كبيرة من المنحوتات الفخارية الصغيرة التي اكتشفت في الآثار اليابانية خاصة في المعابد و تعود لآلاف السنين .. الغريب في هذه المنحوتات هو هيئتها العجيبة التي تشبه المخلوقات الفضائية على نحو غريب مما يعيدهم إلى واجهة الحديث كالعادة مع كل اكتشاف غامض مبهم !!

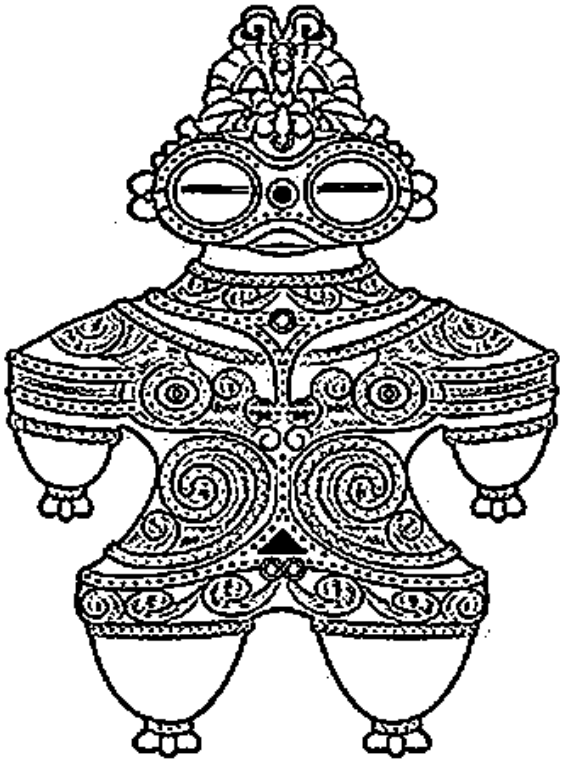

❁ **اكتشافات غامضة عجز العلم عن تفسيرها و بقي الفضائيون التفسير الوحيد لها** .. و أشهرها :

- **هرم الفراعنة الفضائي** : أو ما يعرف **بهرم بن بن** أي المشع و المتلألئ ، من عجائب القدماء المصريين ، هو

هرم أسود اللون بخصائص مغناطيسية .. هذا الهرم حير العلماء لآلاف السنين ولم يتمكنوا من حل لغزه الا بعد صعودهم إلى الفضاء ، إذ إنه مصنوع من الحجر الأسود ولكنه ليس حجراً عادياً لان كل مكوناته ليس لها وجود على وجه الأرض .. هذا الحجر الأسود الحديدي لا يتواجد الا في الفضاء في النيازك الفضائية ..

وهنا يظهر اللغز الثاني بأنه حجر حديدي صلد جداً وصعب التشكيل والحفر ولكنه ليس صعب الكسر، فكيف تم قطعه بتلك الدقة في الزوايا والانحرافات بدون عيوب أو تهشيم ؟ وكيف تم صقل وجوهه بهذه الجودة و الدقة ؟؟ .. وهنا يطل برأسه اللغز الثالث وهو كيف تم النقش بتلك النقوش الدقيقة جداً على أوجه الهرم ، حيث أكد العلماء عجز أية أداة سواء قديماً أو حديثاً من نحت تلك النقوش إلا إذا كانت أداة قطع

ليزرية و هذا مستحيل في تلك الحقبة التاريخية إلا إن كان للفضائيين دور في تشكيل هذا الهرم !! نصل الآن إلى آخر لغز وهو أنّ الحجر الاسود الحديدي النيزكي بفضل تركيبه ومكوناته يتمتع ببث طاقة كهرومغناطيسية في محيطه تجعل كل من يقترب منه يشعر بالراحة النفسية والصفاء الشديد ويؤثر على طاقة الإنسان فيزيل ما يشعر به من ألم في أي منطقة من جسده (بنفس مبدأ إسورة الطاقة التي يتم ارتداؤها الآن ولكن بطاقة عالية جداً) تؤثر في أي عدد مهما كان بمجرد وجودهم في محيطه. و الهرم موجود حالياً في المتحف المصري..

- **خطوط نازكا** ، و هي سلسلة من النقوش في أرض الصحراء الحصوية أو ما يعرف باسم (جيوغليف) تقع في صحراء نازكا في جنوب **البيرو**، اكتشفت صدفة عام **1926** من أعلى تل ، ليتم دراستها لاحقاً عبر طائرة من السماء لتظهر الحقيقة العجيبة الصادمة ، عدد هائل من الرسوم تمتد لأكثر من **80** كيلومتر بين بلدتي **نازكا** و **بالبا**.. وتمثل أشكالاً هندسية و بشرية و حيوانية وأكبرها يمتد لمسافة **200** متر..

ويعتقد العلماء أنها نحتت لأغراض دينية. وبسبب المناخ الجاف، لم تختف تلك النقوشات عبر الزمن ، و يعتقد أنها تعود لحضارة نازكا التي ازدهرت بين عامي **400** و **650** ميلادي .. و لا تزال الآلية التي رسمت بها بدقة على هذه المساحات الشاسعة أحد أكبر الألغاز البشرية إذ أنّ هذا الرسم الدقيق يتطلب رؤية واسعة من السماء لم تكن متوفرة

بالطبع في تلك الفترة التاريخية ، فهل للفضائيين دور في رسمها مجدداً ؟!! ، كما أن الغاية الدقيقة منها بالأساس لا تزال مجهولة بدورها ..

● **دوائر المحاصيل** و هي عبارة عن تصاميم مبهمة تطبع أو تتكون خلال ليلة واحدة في الأراضي التي يزرع فيها القمح والشوفان والذرة بالإضافة إلى حقول الحشائش والأشجار ..

و بعد ظهور عدد متزايد من هذه الرسومات (خاصة في انكلترا) في نهاية السبعينات من القرن العشرين، أصبحت الموضوع الأكثر إثارة للجدل في العالم .. و بالرغم من وجود عدد من النظريات حول كيفية صنعها، إلا أن مصدرها الأكيد لا يزال مجهولاً و غامضاً و ربطت بالطبع بالفضائيين كغيرها

● **خرطوشة معبد ابيدوس في مصر** : تلك اللوحة الجدارية التي نقش عليها رموز لمركبات فضائية على نحو مثير للريبة و الأسئلة بشدة .. و أنا أعتقد أن هذا الاكتشاف لوحده كافٍ لإثبات وجود الفضائيين ، ففي أيام الفراعنة لم يكن هنالك مفهوم لحيوات خارج الأرض بالأساس .. فمن نقشها و لماذا ؟

صمت قليلاً .. رشف بعض الماء من الكأس .. ابتسم و تابع:

= ننتهي هنا من مقاربة المحاور الأربعة السابقة و التي كما رأيتم بأنفسكم تشير بقوة إلى وجود حيوات أخرى غيرنا في الكون .. فليس هنالك تفسير علمي مقنع للبشر لها حتى اليوم.. لكن يتبقى أمامنا السؤال الهام الذي لا أشك أنكم

تفكرون به جميعاً الآن :

((إن كان هنالك كائنات حية واعية غيرنا في الكون فلماذا لم تتواصل معنا بشكل صريح و علني حتى اليوم ؟))

في الحقيقة تمكن العلماء من وضع عدة أجوبة عن هذا السؤال توزعت على الاحتمالات التالية ..

- هم موجودون لكنهم لا يتواصلون معنا عمداً لانعدام ثقتهم بنا ..
- هم موجودون ويتواصلون معنا ولكن لا يمكننا فهمهم ..
- هم كانوا موجودين في وقت لم نكن نحن فيه (لم يمروا بالضرورة على الأرض)
- هم موجودون لكن معظم الناس لا تدرك ذلك حتى الآن باستثناء القصص الغريبة لبعضهم ..
- اختفوا! (أي دمروا أنفسهم أو دمرهم شيء ما، كما قد يحصل مع البشر في حال نشوب حرب نووية !) ..
- قد نكون غير مهمين بالنسبة لهم (فقد يكونون متطورين لمراحل قد تجعلنا بنظرهم كالنحل مثلاً بالنسبة للبشر، فهل فكر البشر يوماً ما بالتواصل مع النحل؟ رغم أنهم أمامنا يعملون طوال الوقت !)

و كما نرى فجميعها تفسيرات منطقية يمكن لأي منها أن يكون صحيحاً و إن كنت أميل شخصياً إلى التفسير الأخير ..

فقدرة هذه الكائنات الحية على قطع ملايين السنين الضوئية في الكون كي يصلوا إلينا تؤكد تطورهم العلمي الرهيب مما يفترض بقوة أننا جنس متخلف بالنسبة لهم يعملون على دراسته لا أكثر دون أي رغبة بالتواصل معه .. كما نتعامل مع النحل و غيره من المخلوقات على كوكب الأرض بالضبط ..

و إن كنت أتبع المنهج العلمي المجرد في مقاربة جميع الفرضيات العلمية التي تمر بي فإنني من وجهة نظر شخصية إيمانية بوجود خالق للكون أصدّق قول الله في القرآن بأنّه خلق غيرنا في هذا الكون الشاسع و سيجمعنا بهم ذات يوم بمشيئته و حكمته ، فجميع الأدلة التي ذكرتها آنفاً تدعم هذه الفكرة بقوة من احتمال رياضي إلى حوادث رؤية الفضائيين و صحونهم الطائرة و انتهاءً بالاكتشافات الأثرية المذهلة التي عجز العلماء حتى اللحظة من تفسيرها علمياً و منطقياً .. و الموضوع برمته كحقيقة وجود الديناصورات في التاريخ فنحن لم نر ديناصوراً حياً من قبل قط ، لكننا رأينا من الأدلة ما يكفي لإثبات وجودها ذات يوم .. و المحاور الأربعة التي قاربناها تشير بقوة إلى حقيقة وجود كائنات أخرى في هذا الكون ..

صمت مجدداً ثم رفع يده بطريقة مسرحية توحي أن المحاضرة أوشك على نهايتها :

= في ختام محاضرتنا علينا أن نتواضع كبشر قليلاً فلا نقول بغرور :

(هذا الكون برمته ملك لنا لوحدنا ، و لا أحياء سوانا فيه)

بل أن نقول :

(نحن نعيش على حبة رمل من شاطئ مجرة هي بنفسها حبة رمل من شاطئ مجرات الكون .. و ليس بغريب أو مستبعد على الإطلاق أن يتواجد جنس واعٍ غيرنا على حبة رمل أخرى على الأقل من هذه الشواطئ الشاسعة ..)

و ألا نقول :

(نحن البشر أسياد هذا الكون بالتطور العلمي الهائل الذي توصلنا إليه ..)

بل أن نقول :

(العلم محيط شاسع لم نغرف منه بعد سوى قطرة أو أقل ، و من المرجح وجود كائنات غيرنا في الكون غرفوا منه المزيد لدرجة أننا بالنسبة إليهم كالجراثيم التي نشاهدها على الشريحة تحت المجهر و التي تظن أن الشريحة هي حدود الكون و أنه لا حياة أخرى خارجها ..)

هكذا نصل إلى النهاية .. أردتها محاضرة مقتضبة لكن غزيرة بالمعلومات كي أجنبكم الملل قدر الإمكان .. و أعتقد أننا جميعاً أصبحنا نؤمن أن تجربة الشاب كايلي لم تكن الأولى ، كما أنها لن تكون الأخيرة ، فأصدقاؤنا الفضائيون يظهرون بين الحين و الحين في كل مكان من العالم كما أثبتنا خلال الدقائق المنصرمة ..

طاب يومكم ..

ترجل عن المنصة بهدوء و ثقة ، في حين خيم صمت ثقيل على المدرج كما لو أن كل حاضر فيه غائب في أروقة الكون يفكر بنظراء لنا في الخلق يتخفون في الظلال ..

الفصل الثالث

أمراض دروبا

الولايات المتحدة الأمريكية

فلوريدا / ميامي ..

2036 م ..

أرين دانفورث، اسم لا ينسى بسهولة، كأنه خرج من رواية قديمة عن المحققين الذين يسكنون الظلال أكثر مما يسكنون النهار. بلغ الرابعة والأربعين، عمرٌ تتقاطع فيه التجربة بالحذر، والنظرة بالعزلة. كان شعره البني ينسدل دائمًا بطريقة مرتبة أكثر مما يجب، حتى في الأيام التي تلطّخ فيها الدماء مسرح الجريمة. عيونه البنية، التي تميل إلى لون الكهرمان عند ضوء الغروب، كانت لا تنظر إلى الأشياء بل تخترقها ، عينان تعرفان أن الحقيقة لا تُرى بل تُشمّ وتُسمع وتُحسّ من رعشة خفية في الهواء.

وجهه صلد كالحجر، لا تعرف له ملامح الفرح ولا الغضب؛ فقط سكونٌ متوتر كمن يتأمل العالم من وراء زجاج سميك. كان قليل الكلام، يزن كلماته بصرامة عالم في مختبره، ويبتعد عن الناس كما لو أن قربهم قد يفسد نظامه الداخلي. لم يكن يضحك كثيرًا، وإن فعل، جاء ضحكه جافًا، بلا صدى. في قسم الشرطة، كانوا يقولون إن أرين لا يحل الجرائم بقدر ما يستحضرها، كأنها أرواح معلقة في ذاكرته تعود إليه طائعة لتهمس له بما حدث.

سنوات طويلة أمضاها في دهاليز الجريمة، حتى بات يرى

خلف كل ابتسامةٍ نيةً خفية، وخلف كل صدفةٍ نظامًا غامضًا. كان يحمل في جيبه دفترًا صغيرًا أسود، يسجل فيه ملاحظات لا يطّلع عليها أحد. يكتب فيه جملاً مقتضبة عن الضحايا، لا كأرقام بل كأرواح. بعض زملائه قالوا إنه يكتب الشعر، لكنه لم يؤكد ولم ينفِ ، فقط قال ذات مرة :

(الشعر هو أقرب ما يمكننا الوصول إليه من مسرح الجريمة)

لم يكن يؤمن بالقدر، لكنه آمن بشيء آخر أكثر غموضًا : **توازن المعنى** ، كما يسميه. كان يعتقد أن كل جريمة هي محاولة الكون لاستعادة توازنه المفقود، وأن مهمته كمحقق ليست القبض على الجاني، بل فهم الرسالة التي تركها وراءه الفعل الدموي.

في حياته الخاصة، كان أرين كمن يعيش على تخوم الحلم والواجب. لا أصدقاء حقيقيين، ولا زيارات عائلية. حتى منزله بدا كصندوق منظم بعناية باردة : كتب عن التشريح الجنائي، لوحات لفان غوخ وبيكون، ساعة جدارية لا تعمل، وستائر تُغلق دائمًا قبل الغروب.

لكن في هذا الفراغ الهادئ، وجدت طريقها إليه امرأة غريبة عنه في كل شيء، ومع ذلك تشبهه في أكثر مما يظن.

اسمها **ماريسا كوينلان**.

سمراء البشرة بنعومة صقلها الضوء، عيناها بلون القهوة الممزوجة بدمعة دفء، وشعرها الطويل الأسود كان يسقط

على كتفيها كما تسقط الذكريات على أرواحنا ، بهدوءٍ يوقظ. كانت تعمل طبيبة نفسية في عيادة صغيرة بالحي القديم، لكنها تمتلك حضورًا يجعل من جلساتها طقسًا أكثر منها علاجًا. لا ترفع صوتها أبدًا، ولا تقاطع مريضها، فقط تكتفي بنظرة عميقة تجبرك على أن تقول ما لم ترد قوله.

ماريسا جاءت من بيتٍ مسيحيٍ محافظ في ولاية فرجينيا. والدها قسٌّ صارم، ووالدتها معلمة موسيقى تؤمن بأن الأرواح يمكنها أن تُشفى بالنغم. عاشت في طفولتها بين صوت الأجراس ورائحة الخشب المقدس في الكنيسة، وكانت ترى العالم كمزيجٍ من النور والظلال، لا شرًا خالصًا ولا خيرًا محضًا، بل تناوبًا دائمًا بينهما. ربما لهذا السبب، كانت

ماريسا تنجذب إلى العقول المعقدة، إلى المناطق الرمادية التي يحاول الجميع تجنبها.

حين التقت أرين لأول مرة في ندوة عن السلوك الإجرامي رأت في عينيه شيئًا لم تعرف له اسمًا : انكسار بلا حزن، وهدوء بلا طمأنينة. جلس في الصف الخلفي، لا يدوّن شيئًا، فقط يراقبها كمن يختبر صدق تنفسها وهي تتحدث عن الدوافع النفسية للقاتل. وبعد المحاضرة، وقف أمامها بصمته المعتاد وقال :

(أحيانًا يكون الجاني هو الوحيد الذي لم يرتكب جريمة)

لم تفهم الجملة وقتها، لكنها عرفت أنها أمام رجلٍ لا يبحث عن الجواب بل عن الحقيقة التي تختبئ خلف السؤال. ومنذ تلك الليلة، صار وجودها في حياته ضرورة غامضة، كما لو أن كليهما يمثل نصف اللغز الذي لا يكتمل إلا بوجود الآخر.

كانت تعرف أنه غامض حتى في صمته، وأن خلف جمود ملامحه بركانًا من الفكر والقلق. وكانت تحاول الاقتراب منه بحذر الطبيب، والحنان الذي يشبه صلاة مكتومة. أما هو، فكان يراها مرآته الهادئة : مرآة لا تكشف ما يخفي، بل تذكّره بما لم يعد يراه في نفسه : الإنسانية.

في المساءات الطويلة، حين تجلس معه في شقته المعتمة، كانت تحدق في عينيه البنيتين وتقول :

(أخشى أنك ترى في الناس ما لا يراه أحد، أرين)

فيجيبها بصوتٍ منخفض :

(أخشى فقط أني لم أعد أرى فيهم ما يجب أن يُرى)

كانا، كلٌّ على طريقته، عاشقين في زمنٍ لا يؤمن بالعشق، بل بالعقل. لكنه حبّ من نوعٍ نادر، هادئٌ كالماء، عميقٌ كالأثر، غامضٌ كمن يؤمن أن اللقاء بين روحين ليس مصادفة ... بل خريطة كتبها القدر منذ زمنٍ بعيد.

****

كان الصباح رماديًا في المدينة، كأن الغيوم قررت أن تتواطأ مع تعب البشر.

الساعة تشير إلى السابعة والنصف حين دخل المحقق أرين دانفورث مكتبه في قسم التحقيقات الجنائية، بخطواتٍ هادئة تحمل انضباط عسكريًّا خفيًّا. كان المكتب صغيرًا نسبيًا، لكنه يُشبه صاحبه في شيءٍ جوهري : النظام الذي يقترب من الهوس. لا ورقة في غير مكانها، لا غبار على سطح المكتب الخشبي الداكن، ولا كوب قهوة إلا وُضع على المنديل نفسه الذي استُخدم بالأمس.

خلف المكتب، تمتد خزانة زجاجية تحوي عشرات الملفات المصنفة بعناية، وإلى جوارها لوحةٌ كبيرة تغطي جدارًا كاملًا، مُثبّت عليها صورٌ وأوراق وخرائط متشابكة بخيوط حمراء تمتدّ من نقطةٍ إلى أخرى كأنها شبكة عنكبوتٍ عقلية ترسم طريق فكر المحقق.

في زاوية الغرفة، قرب النافذة، كان هناك كرسيّ جلديّ قديم

يهتزّ ببطء كلما هبّت الريح من الخارج، وعلى الطاولة الصغيرة بجانبه كتاب مفتوح عن التحليل النفسي لمرتكبي الجرائم الرمزية. كانت هذه الغرفة، رغم بساطتها، تشبه عقل أرين تمامًا: منظمة حدّ القسوة، لكنها تخفي فوضى فكرية لا يعرفها سواه.

جلس على الكرسي، فتح دفتره الأسود، كتب بضعة كلمات بخطّ دقيق :

(الزمن لا يُخفي الجريمة، بل يُربّيها..)

ثم نظر إلى ساعته. كان ينتظر دخول مساعده **باتريك لويل**، الشاب الذي رافقه في أغلب القضايا خلال السنوات الأخيرة. دخل باتريك بعد دقائق، يحمل فنجانين من القهوة، وقال بابتسامةٍ خفيفة:

= صباح الخير، سيدي. الجو مثالي اليوم لارتكاب جريمة.

لم يبتسم أرين. تناول فنجانه وقال دون أن ينظر إليه :

= الجو مثالي أيضًا لاكتشافها.

كان باتريك في أواخر الثلاثينيات، خرنوبي الشعر بعينين عسليتين وذكاءٍ عمليٍّ واضح، لكنه لم يتقن بعد صمت أرين المقلق. ومع ذلك، كان يقدّره ويخشاه في الوقت ذاته. اعتاد أن يبدأ يومه بمراجعة القضايا المعلّقة، وإعداد تقارير قصيرة عن تطورات الملفات التي يعملان عليها.

مرّت ثلاث ساعات من الصباح الروتيني: أصوات الهواتف، أوراق تُقلب، قهوة تبرد على المكاتب، والمدينة تستيقظ على رتابةٍ مألوفة.

وفجأة، رنّ الهاتف.

رنّته كانت مختلفة ، قصيرة، حادّة، كأنها تحمل نَفَسًا لاهثًا من جهةٍ بعيدة. رفع أرين السماعة بهدوء، ألقى التحية، ثم ساد صمتٌ ثقيل لثوانٍ وهو يستمع. ملامحه لم تتغير، لكن باتريك عرف من نظرةٍ واحدة أن اليوم لن يكون عاديًا.
وضع أرين السماعة ببطء، ثم قال بصوتٍ منخفض:

= جريمة قتل في الحي الشمالي. امرأة مسنّة. أرسلوا الإحداثيات، وطلبوا حضورنا فورًا.

في أقل من عشر دقائق، كانت سيارة التحقيق السوداء تشقّ طريقها بين الشوارع المبتلّة. جلس أرين في المقعد الأمامي، يحدّق عبر الزجاج الأمامي كما لو كان يحاول قراءة لغة المطر. لم يتحدث كثيرًا، فقط قال :

= كل جريمة تحمل بصمتها. لا يوجد موت عبثيّ، حتى لو بدا كذلك.

حين وصلا، كانت الشرطة المحلية قد طوّقت المنزل بشريطٍ أصفر. كان منزلًا خشبيًا صغيرًا في شارع هادئ تحيط به أشجار القيقب العارية. باب المنزل مفتوح، وضوء النهار الشاحب يتسلل إلى الداخل مثل يدٍ باردة تمسح المكان.

دخلا برفقة الطبيب الشرعي، الدكتور **نونيز**، رجلٌ قصير ممتلئ الجسد يحمل وجهًا مزيجًا من اللطف واللامبالاة، تعوّد على رؤية الجثث حتى فقد انفعاله.

في وسط الغرفة، وعلى كرسيّ هزّازٍ قديم، جلست الضحية - السيدة **هيلين غرايفز** - امرأة في الثمانين من عمرها، متسمرة بهدوء في فستانٍ قرمزي. كانت ملامح السكينة تغمر وجهها. حولها صمتٌ ثقيل لا يقطعه سوى صرير الكرسي الذي يهتز ببطء كأنّ الموت نفسه يتنفس.

توقف أرين عند الباب لثوانٍ، لم يقترب فورًا. كان ينظر إلى المشهد بعينيه البنيتين دون أن يُصدر حكمًا.

ثم انحنى ببطء قرب الجثة، تفحّص الأيدي، العنق ، الكرسي ، الزوايا، آثار الجرّ. كل شيء في وضعه الطبيعي ... عدا شيءٍ واحد.

كانت يد السيدة هيلين اليمنى تقبض بإحكامٍ على ورقة مطوية بعناية، كأنها أرادت أن تحميها حتى بعد موتها. مدّ أرين يده بحذر، فتح الورقة ببطء. كانت الكتابة أنيقة، مرتّبة بخطٍ ثابتٍ

غريب، والجملة الوحيدة فيها تقول :

(أقراص دروبا ... كي لا نصاب بالزهايمر و ننسى الحقيقة)

قرأها بصوتٍ منخفض، ثم نظر إلى باتريك الذي بدا مذهولًا بشدة :

= أقراص ماذا ؟

أجاب أرين ببرودٍ غامض :

= دروبا !! ... لم أسمع بهذا الاسم من قبل. يبدو أشبه برسالة لا يفهمها إلا من كتبها.

اقترب منه الطبيب الشرعي نونيز، وهو يقلب ملاحظاته في دفتر صغير وقال :

= تقرير أوليّ، سيدي : الجثة تعود إلى السيدة هيلين غرايفز، ثمانون عامًا، مصابة بالزهايمر الجزئي تبعاً لمعلومات ابنها . سبب الوفاة : الخنق بالأيدي على الأرجح . زمن الوفاة المقدر ... منذ حوالي ثماني ساعات.

رفع أرين حاجبه وقال :

= أي في حدود الثالثة صباحاً .

= بالضبط، ، و سأرسل لك التقرير النهائي عقب تشريح الجثة.

ثم أضاف أحد الضباط المحليين :

= ابنها **داني غرايفز** هو من وجدها. عاد من مناوبته الليلية هذا الصباح، وجد الباب مفتوحًا والجثة كما ترون، فاتصل بالشرطة فورًا.

طلب أرين مقابلة الابن، وبعد دقائق دخل شاب في الثلاثين من عمره، وجهه شاحب وعيناه مضطربتان. جلس بصمت، ثم بدأ بالكلام بتلعثمٍ متوتر، لكنه لم يضف شيئًا جديدًا. قال إنه ترك والدته الليلة الماضية بخير بعد نومها و ذهب لعمله كحارس ليلي ، وإنها كانت تعاني فقط من نوبات نسيان متكررة، ولم يكن لها أعداء.

لم يعلّق أرين بشيء. اكتفى بتدوين ملاحظة صغيرة في دفتره الأسود، ثم أغلقه بعناية. بعد دقائق، وقف وقال بصوته الرزين الذي يفرض النظام :

= أغلقوا مسرح الجريمة بالكامل. لا أحد يقترب من المكان دون إذني.

ثم التفت إلى باتريك وأضاف :

= أريد تقريرًا مفصلًا عن هذه العبارة (أقراص دروبا) .. كل ما يمكن العثور عليه : مصدرها، دلالتها، أي إشارة في الطب أو الأساطير أو التاريخ. أريد الإجابة اليوم.

غادر أرين المكان بخطواتٍ بطيئة، آخر ما نظر إليه كان الكرسي الهزّاز الذي لم يتوقف عن التأرجح، كأنه يرفض تصديق ما حدث عليه.

في السيارة، ظلّ صامتًا، بينما المطر يضرب الزجاج بصوتٍ رتيب. باتريك حاول أن يسأله عمّا يدور في رأسه، لكنه آثر الصمت ، لأن الصمت كان لغة أرين المفضلة حين يبدأ عقله بالعمل.

عاد إلى مكتبه بعد ساعة. خلع معطفه الرمادي، جلس خلف مكتبه، أخرج دفتره، وبدأ يرسم دوائر صغيرة على الصفحة الفارغة وهو يهمس :

= النسيان ... والحقيقة ... والذاكرة. أي نوع من العقول يكتب رسالة كهذه ؟

مرّت ساعتان في صمتٍ ثقيل، حتى رن الهاتف مجددًا.

رفع السماعة ببطء، ثم سمع صوت باتريك المتسارع على الجهة الأخرى يقول :

= سيدي ... استلمت التقرير حول أقراص دروبا.

= هل ثمة معلومات مفيدة فيه ؟

ساد صمت قصير، ثم جاء صوت باتريك مشوبًا بالذهول :

= لا أصدق ما أقرأ... لكن يبدو أننا أمام مفاجأة من العيار الثقيل.

وهنا...

تجمّد أرين في مكانه، بينما عينه تلمع بوميضٍ لا يُدرَك.

الدفتر الأسود ما زال مفتوحًا أمامه، والسماء الرمادية خلف

النافذة بدأت تُظلم كأنها تستعد لحدثٍ أكبر مما تحتمله المدينة.

وتوقف كل شيء... عند تلك الجملة الغامضة :

(أقراص دروبا)

وصل باتريك مع التقرير ، جلس أمام أرين و شرع يقص عليه حكاية تلك الأقراص و التي كانت أغرب من أي خيال يتصوره :

(**الزمان** : عام **1938** ..

المكان : جبال (**يابان - كارا - أولا**) على الحدود بين الصين و التبت ..

كانت البعثة الاستكشافية بقيادة البروفيسور **تشي بو تاي** من جامعة بكين تتوغل عبر الطرق الوعرة بين جبال الهملاديا حين عثروا على شبكة كهوف غريبة و منذ وطأت أقدامهم أرضها حتى توالت الاكتشافات الغامضة و الخطيرة واحداً تلو الآخر ..

فقد كان أول ما لاحظوه أنّ الكهوف محفوره بإتقان و تشكل نظاماً معقداً من القنوات و غرف التخزين ، و كانت جدرانها مستقيمة الى حد بعيد .. و بداخل الغرف وجدوا أماكن مرتبة خاصة للدفن و بداخلها **هياكل عظمية لأناس ذوي هيئة غريبة** ، أطوالهم حوالي **122** سم ،عظامهم هشة و جماجمهم كبيرة بشكل غير متناسق مع الجسم !!

اقترح أحد أعضاء فريق الاستكشاف انها تعود لنوع من

القرود ، إلا انّ البروفيسور تشي بو تاي رفض هذا الاقتراح تماماً ، إذ أنّ أحداً لم يسمع من قبل عن قرود تدفن موتاها أو تقوم ببناء هذا النظام المعقد بنفسها !!

كما أنّ مزيداً من الاكتشافات داخل الكهوف أضافت كثيراً من الصحة لوجهة نظر البروفيسور.. فقد وجد الفريق على جدران الكهوف نقوشاً تصويرية للشمس و القمر و النجوم و الأرض ، وكانت هنالك خطوط من النقاط تربط بينها .. إلا أنّ أهم اكتشافاتهم على الاطلاق في هذه الكهوف كان أقراصاً حجرية وجدوها مدفونة في أرضية الكهوف !. و كان قطر القرص الواحد حوالي **22.8** سم و ارتفاعه **1.9** سم و في وسطه ثقب دائري بقطر **1.9** سم أيضاً .. و وجدوا على وجه القرص نقشاً محفوراً بدقة يظهر خارجاً من

الثقب في الوسط ليدور وينتهي عند محيط القرص..

تم العثور على **716** قرصاً تبين أنها تعود الى **12** ألف عام مضى ، أي أنها أقدم من الأهرامات في مصر ، وكل قرص يشتمل على مجموعة من الأسرار على ما يبدو ، حيث تبين أنّ النقش على وجه كل قرص لم يكن أبداً نقشاً عادياً ، بل أظهرت الأبحاث أنه خط متواصل من كتابة شبيهة بالكتابة الهيروغليفية !! و كانت الكتابة صغيرة جداً بل حتى مجهرية !!

في العام **1962** ، استطاع عالم صيني آخر هو الدكتور **تسوم أم نيو** أن يفك شفرة الكتابة الموجودة على الأقراص ، فتبين أنها تحوي معلومات غريبة جداً لا يمكن تصديقها بل إنها هاربة من أفلام الخيال العلمي ، لدرجة ان قسم ما قبل التاريخ في جامعة بكين منع نشرها في البدء !!

قام الدكتور تسوم بنسخ ما يراه على وجه القرص على ورقة ، و لأنّ الكتابة على القرص كانت دقيقة وصعبة القراءة

اضطر معها الدكتور للاستعانة بعدسة مكبرة ، و كانت المهمة صعبة و مرهقة جداً ، فالأقراص مضى على وجودها **12** ألف سنة و الكتابة مجهرية .. و عندما انتهى الدكتور من نسخ ما في الأقراص على الورق ، بدأ في ترجمتها وفك أسرارها ، كلمة كلمة ، جملة جملة ، وسطراً سطراً ، حتى استطاع في النهاية فك الشفرة كاملة .. فوقف مصعوقاً من النتيجة أمامه ..

كانت الشفرة مكتوبة من قبل أناس يطلقون على أنفسهم لقب **دروبا** و كانت الأقراص تحكي عن مركبة فضائية قادمة من كوكب بعيد تحطمت على الأرض قبل **12** ألف عام ، فوجد طاقمها في كهوف الهملايا ملاذا آمناً لهم ، لكن وعلى الرغم من أن الدروبا هم قوم مسالمون إلا أن **قبيلة هان** التي كانت تسكن في كهوف قريبة من كهوف الدروبا خافت منهم في البداية فقتلت بعضهم ..

وتستمر الأقراص في إخبارنا حكاية الدروبا العجيبة ، حيث تذكر أنهم لم يستطيعوا إصلاح مركبتهم الفضائية وبالتالي لم يتمكنوا من العودة إلى كوكبهم ، فبقوا سجناء كوكب الأرض !!

في يومنا الحاضر ، يسكن في تلك المنطقة المعزولة بالقرب

من الكهوف المكتشفة قبيلتان تدعوان نفسيهما للغرابة الشديدة قبيلة هان و قبيلة دروبا أي كما ذكرت الأقراص بالضبط !! و الأغرب أنّ العلماء لم يستطيعوا تصنيف هاتين القبيلتين عرقياً ، فهم ليسوا من قبائل الصين ولا من قبائل التبت .. كلتا القبيلتين من الأقزام ذوي البشرة الصفراء والأجسام النحيلة ولهم رؤوس كبيرة ، أجسامهم تشبه إلى حدّ بعيد الهياكل التي عثر عليها البروفيسور تشي بو تاي عام **1938** ، ولهم عيون واسعة زرقاء شاحبة اللون لا تشبه العيون الاسيوية بأي شكل من الأشكال !!

في العام **1968** م قام العالم الروسي **سايتسو** بدراسة العناصر المكونة لأقراص دروبا ، فوجد أنها **صخور جرانيتية** تحتوي تركيزاً عالياً من معدن **الكوبالت** وبعض العناصر الاخرى مما يجعلها من أشد الصخور صلابة بحيث يصعب على القدرة البشرية العادية حفر مثل هذه النقوش عليها ، خصوصاً بحجم الخط الميكروسكوبي الموجود على الاقراص !! كما وجد لها خصائص كهربائية حيث من الممكن استخدامها كموصلات كهربية !!

كل هذه الأدلة و الاكتشافات وضعت العلماء أمام فرضية وحيدة منطقية لكن صادمة و مخيفة للغاية ، بأن قصة شعب دروبا الفضائي صحيحة و بأننا لسنا وحيدين في هذا الكون الشاسع !!)

جلس المحقق أرين مذهولاً إلى مكتبه المكدّس بالأوراق وملفات القضايا المغلقة، وبجانبه كوب القهوة و قد برد نصفه منذ ساعة.

أمامه جلس باتريك، مساعده الشاب، متكئًا على حافة الكرسي في دهشة ظاهرة ، بينما كان ينقر بأصابعه على الملف الذي يحوي التقرير الأخير. ساد الصمت للحظة، صمت ثقيل كأنه يستمع معهما لأنفاس المكتب وضجيج الأجهزة في الخارج.

رفع أرين عينيه البنيتين الغائرتين في وجه باتريك وقال بصوت مبحوح من فرط التفكير :

= إذن، هذه قصة تلك الأقراص العجيبة ..

أومأ باتريك وهو يقلب الصفحة بين يديه بتردد :

= نعم سيدي. قصة مذهلة بلا أدنى شك .. لكن يبقى السؤال الأهم : ما علاقتها بالجريمة ؟!!

أغمض أرين عينيه لحظة وأطلق تنهيدة طويلة قبل أن يهمس بنبرة تأملية :

= لا أعلم، يا باتريك. لكن ثمة شيء في هذه الجريمة لا يستقيم. ورقة في يد عجوز تموت خنقاً ، مكتوب عليها كلام عن أقراص أسطورية لا يعرفها إلا القلة من الباحثين في أسرار الفضاء. هذه ليست صدفة.

اقترب باتريك قليلاً وقال :

= ربما القاتل قرأ عن الأقراص في مكانٍ ما وأراد تضليل التحقيق ؟ أو ربما القاتل مهووس بتلك النظريات ؟

ابتسم أرين بمرارة وهو يهمس :

= الاحتمالات كثيرة يا صديقي، لكن الحقيقة عادة تختبئ في التفاصيل التي لا ننتبه لها.

قرأ الملاحظات المرفقة بالتقرير ، و توقف عند إحدى الجمل فيه و تلاها على مسامع بارتيك بصوت غامض :

= يُعتقد أن أقراص دروبا تحمل رسائل من حضارة زارت الأرض قبل آلاف السنين، وأنها تحوي رموزًا تتحدث عن وحدة الوعي الكوني، ومصير البشرية إذا نسيت حقيقتها..

تابع أرين وهو يقرأ عبارة ورقة مسرح الجريمة من جديد :

= **كي لا نصاب بالزهايمر وننسى الحقيقة** ... عبارة الورقة تطابق مضمون النقش على الأقراص تقريبًا. وكأن القاتل أراد تذكيرنا بشيء نجهله جميعًا.

باتريك قال بدهشة :

= هل تعتقد أن للقاتل هدفًا فلسفيًا ؟ أو ربما طابعًا رمزيًا ؟

أجابه أرين بنبرة جافة ..

= لا أعلم بعد .. لكن ما أعلمه أن قصة الأقراص أغرب

من الجريمة نفسها. تخيل يا باتريك، أنني أمضيت عشرين عامًا في ملاحقة المجرمين، لكن لم يسبق أن وجدت نفسي أمام لغز يختلط فيه الدم بالأسطورة على هذا النحو.

هزّ باتريك رأسه موافقًا :

= فعلاً، إنها أغرب من أي شيء واجهناه. والأغرب أن الحديث عن الفضائيين يملأ الشاشات منذ أيام بسبب ذلك الشاب... كايلي، أليس كذلك ؟ الفيديو الذي صوره في الغابة صار حديث كل محطة. ربما القاتل متأثر بهذه القصة ؟

رفع أرين حاجبه بتأمل وقال :

= ربما .. لكن ما يجعل الأمر محيرًا أن الضحية، السيدة هيلين، ليست سوى نادلة متقاعدة. لا انتماء علمي لها ، لا اهتمام بالظواهر الغريبة، لا وجود لأي رابط ظاهر. ومع ذلك، تموت في بيتها و في يدها ورقة تتحدث عن فضائيين وأقراص غامضة.

سكت لحظة وهو يحدق في البقعة الداكنة التي تركها فنجان القهوة على مكتبه، ثم قال بصوت خافت كأنه يخاطب نفسه:

= أحيانًا، يا باتريك، أشعر أن بعض القضايا ليست سوى مرايا تعكس فوضى عقولنا نحن، لا نحلها بقدر ما نُعيد ترتيب أفكارنا خلالها.

ابتسم باتريك بخفة، رغم التوتر :

= وهل تعتقد أننا سنصل إلى حل هذه المرة ؟

ابتسم أرين ابتسامة باردة خلت من الأمل تقريبًا وقال :

= لا أظن ذلك. هذه بلا شك أغرب جريمة مرت علي في سنوات عملي، وبحسب خبرتي ... التحقيقات ستصل إلى حائط مسدود.

حلّ صمت طويل بينهما، لم يقطعه سوى أزيز مصباح المكتب القديم. خارج النافذة، كانت غيوم ميامي الملبدة تبتلع ضوء ببطء، كمدينة أنهكها التفكير. جلس أرين متكئًا إلى الخلف، وأخذ يحدق في الفراغ بعينين نصف مطفأتين كأنهما تنظران إلى لغز أبعد من الأرض.

بعد أيام من التحقيقات العقيمة، تأكدت نبوءة أرين.

لم يُعثر على أي مشتبه به. لا شيء سرق من المنزل ، لا دافع واضح للجريمة ، لا بصمات، لا كاميرات مراقبة سجلت ما حدث ، لا آثار اقتحام، ولا حتى شعرة عالقة على مسرح الجريمة. وكأن قاتلًا من كوكب آخر هبط، نفّذ فعلته، وغادر كما جاء في صمت، دون أن يترك خلفه سوى جملة مبهمة عن الحقيقة المنسية !! و حتى تقرير الطبيب نونيز الأخير لم يقدم أي جديد ..

وهكذا، جلس أرين في مكتبه ذلك المساء، يحدق في تقرير نونيز الأخير و عقله في مكان آخر ، يتمتم بصوت بالكاد يُسمع :

= ربما... لم تكن السيدة هيلين المصابة بالزهايمر هي الضحية الوحيدة في هذه القصة .. ربما نحن جميعًا ضحايا النسيان ذاته الذي حذرنا منه القاتل ... نسيان الحقيقة المغيبة عن حيوات غيرنا في الكون رغم وضوحها كالشمس.

الفصل الرابع

كهوف تاسيلي

الولايات المتحدة الأمريكية

فلوريدا / ميامي ..

2036 م ..

لم تمضِ سوى أيامٍ قليلة على الجريمة التي هزّت ميامي، تلك التي أطلق عليها المحقق أرين اسم (جريمة أقراص دروبا) ، حتى جاءه اتصال جديد في ساعة متأخرة من الليل ، بينما كان يجلس في مكتبه المنزلي محاطًا بأوراق القضية الأولى التي لم تبارح ذهنه بعد. كان صوته الداخلي يهمس له أن شيئًا لم ينتهِ بعد، وأن الغموض الذي غرس أنيابه في عقل المدينة لم يكن ليكتفي بضحية واحدة.

رنين الهاتف غطى على أصوات صراصير الليل في الخارج، امتدت يد أرين لتلتقطه ببطء، كأنها تعرف مسبقًا ما ستسمعه .. صوت الضابط المناوب على الجانب الآخر كان متوترًا، متقطع الأنفاس :

= سيدي، لدينا حالة وفاة غريبة في حي ليتل هافانا ، رجل مسن يعيش بمفرده ... الظروف تشبه تمامًا الجريمة السابقة.

تجمدت ملامح أرين، وارتسمت على وجهه تلك النظرة التي تجمع بين الشك واليقين. نهض ببطء من كرسيه ، ارتدى ملابسه و معطفه ، وضع قبعته على رأسه ثم اتجه إلى قسم الشرطة حيث وجد مساعده باتريك ينتظره هناك بفارغ

الصبر ، حياه بكلمات مقتضبة ثم قال بتوتر مشوب بفضول واضح :

= لدينا جريمة ثانية، يا باتريك. يبدو أن ميامي لم تشبع بعد من الألغاز.

لم تمضِ نصف ساعة حتى كانت سيارة التحقيق السوداء تشق شوارع المدينة تحت سماء رمادية تتهيأ للمطر.
الأشجار على جانبي الطريق كانت تتمايل ببطء، كأنها تراقب صمت المحققين المتجهمين داخل السيارة. قال باتريك بعد لحظة صمت :

= هل تظنّ سيدي أن القاتل نفسه في الجريمتين ؟

أجابه أرين دون أن يرفع عينيه عن الطريق :

= لا أعلم بعد. لكن إن كانت مصادفة، فهي أغرب مصادفة مرت علي في حياتي .. جريمتين بورقتين بشكل عبثي !!

حين وصلا إلى المنزل الصغير ذي الجدران المتقشرة والنوافذ المغلقة في شارع ضيق بليتل هافانا، كانت سيارات الشرطة تطوق المكان، وأضواءها الزرقاء تنعكس على برك الماء في الطريق. داخل المنزل، كان الصمت يثقل الجو كأن الموت نفسه لم يغادر بعد .. تقدم منه الضابط المناوب :

= سيدي الجريمة اكتشفت منذ دقائق عقب ورود اتصال هاتفي إلى القسم من مجهول أخبر عنها ..

هز أرين رأسه بدهشة :

= غريب !!

اتجه مباشرة إلى مكان الجريمة حيث وجد جثة الرجل العجوز ممددة على الأرض الخشبية قرب المدفأة، ووجهه الشاحب مائل إلى الزرقة، وعيناه نصف مفتوحتين، كأنهما تحدقان في سرّ لم يستطع البوح به قبل أن يلفظ أنفاسه. لم تكن هناك علامات اقتحام أو صراع، ولا شيء يوحي بالعنف سوى تلك الورقة المطوية بعناية و الموضوعة أسفل رأسه مباشرة كما أخبره الضابط على الهاتف، كأن أحدهم وضعها عمداً، رسالة وداع غامضة من قاتل لا يُرى.

انحنى أرين ببطء، مرتديًا قفازاته، ومدّ يده بحذر نحو الورقة. كانت مطوية على شكل مربع دقيق، وكأنها مرت عبر يدٍ مهووسة بالنظام. فتحها ببطء، لتظهر عليها عبارة قصيرة، مكتوبة بخط واضح ومائل :

(كهوف تاسيلي، الآثار على الجسد لا تُمحى)

قرأها أرين بصوت خافت، بينما كان باتريك ينظر إليه بدهشة ممتزجة بالخوف.

= إذن فالقاتل نفسه بلا شك ، لكن ماذا يريد بحق الجحيم ؟

أجابه أرين وهو يحدق في الورقة كما لو كانت مرآة صغيرة تعكس لغزًا أكبر :

= إنها ليست مجرد جريمة قتل يا باتريك ... هذا أشبه بعمل طقسي، أو قاتل متسلسل يود إيصال رسالة عبر مجموعة رسائل.

في تلك اللحظة، دخل الطبيب الشرعي نونيز، بوجهه الجاد المعتاد ونظاراته السميكة التي تعكس ضوء المصباح، وقال وهو يفتح دفتره :

= التقرير الأولي سيدي. الضحية رجل في منتصف الثمانينيات ، يعيش بمفرده منذ سنوات، لا أقارب معروفين. سبب الوفاة غير واضح بعد، لا توجد جروح واضحة أو نزيف خارجي. لا كدمات تدل على مقاومة. ربما تسمم، لكن التحاليل ستؤكد ذلك.

توقف قليلًا، ثم أضاف :

= زمن الوفاة يُقدّر منذ سبع ساعات تقريبًا.

أغلق أرين الورقة بين أصابعه و أشار بهدوء بارد إلى جسد الضحية :

= و ما قصة هذه الآثار البيضاء المنتشرة على جسد الضحية حضرة الطبيب.

= لا يمكنني الجزم بعد ، لكن التقرير الأخير عقب تشريح

الجثة سيحدد طبيعتها بالتأكيد ..

نظر المحقق إلى مساعده وقال بحزم :

= لم يعد لنا عمل هنا ، فالمسرح نظيف على نحو غير مألوف أو منطقي .. أغلقوا مسرح الجريمة. لا أحد يقترب من هنا دون إذني. وأريد تقريرًا مفصلًا عن كهوف تاسيلي المذكورة في الرسالة... أريد كل شيء : الموقع، التاريخ، القصص التي تحيط بها، أي شيء قد يربطها بهذه العبارة.

هزّ باتريك رأسه مطيعاً ، بينما ظل أرين واقفًا مكانه، يحدق في الجثة بصمت طويل. كانت أفكاره تتسابق في داخله كدوامات في بحر مظلم : كهوف تاسيلي... أقراص دروبا... رموز فضائية... هل نحيا سلسلة جرائم عادية، أم أن أحدهم يحاول أن يكتب رسالة للبشرية بأحرف من دم ؟

خارج المنزل ، كانت أمطار ميامي قد بدأت تنهمر، خفيفة أولاً ثم أثقل، حتى صارت ترتطم بزجاج سيارات الشرطة كأنها تحاول محو المشهد كله، عبثًا.

أما المحقق، فقد وقف على العتبة الأخيرة من الباب، يراقب السماء وهي تفتح صدرها للمطر، وقال بصوت منخفض لا يسمعه أحد :

= إن كان هذا القاتل يكتب قصيدة ... فكل بيتٍ منها سيبدأ بجثة.

****

جلس أرين في مكتبه و الليل يلفظ أنفاسه الأخيرة ، أطفأ الأنوار ما عدا مصباحًا واحدًا يتدلّى فوق الطاولة، ينشر ضوءًا أصفر باهتًا على وجهه المتعب. أمامه جلس باتريك، متكئًا على الكرسي بيدين مشبوكتين وعينين متسعتين كأنهما لم تستوعبا بعد ما يجري. كانت الملفات مبعثرة، والورقتان – **ورقة أقراص دروبا و ورقة كهوف تاسيلي** – موضوعتين في منتصف الطاولة كأنهما قلب الجريمة نفسه.

و مع إشراق الفجر الأول وصل تقرير الأرشيف عن كهوف تاسيلي و كان لا يقل غرابة عن تقرير أقراص دروبا السابق**!**

أخذ باتريك يقرأ التقرير بصوته الرخيم :

(تقع سلسلة الكهوف هذه في مرتفعات تاسيلي على **الحدود الليبية الجزائرية**..و تم اكتشافها بالصدفة في عام **1938**، وكانت محتوياتها مثيرة و غامضة للغاية ، مما جعلها تتحول من مجرد كهوف في سلسلة مرتفعات إلى واحدة من أكثر الألغاز غموضاً التي يحاول العلماء إيجاد تفسير علمي ومنطقي لها حتى يومنا هذا دون جدوى.. فقد رسمت على جدران تلك الكهوف نقوش ورسومات قديمة جداً تشير إلى وجود حضارة قديمة في هذه المنطقة .. الأمر عادي و مقبول تماماً حتى الآن لأي عالم حفريات أو آثار، لكن تلك الرسوم، و بعد التدقيق فيها، تبين أنها تشير إلى أمور غير عادية على الإطلاق بالنسبة لرسومات قديمة في سلسلة كهوف مهجورة..

فهناك رسومات لمخلوقات بشرية تطير في السماء، وترتدي

أجهزة طيران، وملابس شبيهة بملابس رواد الفضاء ومركبات فضائية.. وهناك أيضاً رسومات لبعضهم يرتدي ملابس تشبه ملابس الغواصين البشريين، وآخرون يتجهون نحو ما يشبه أطباق طائرة غامضة تبدو وكأنها تهبط من السماء..

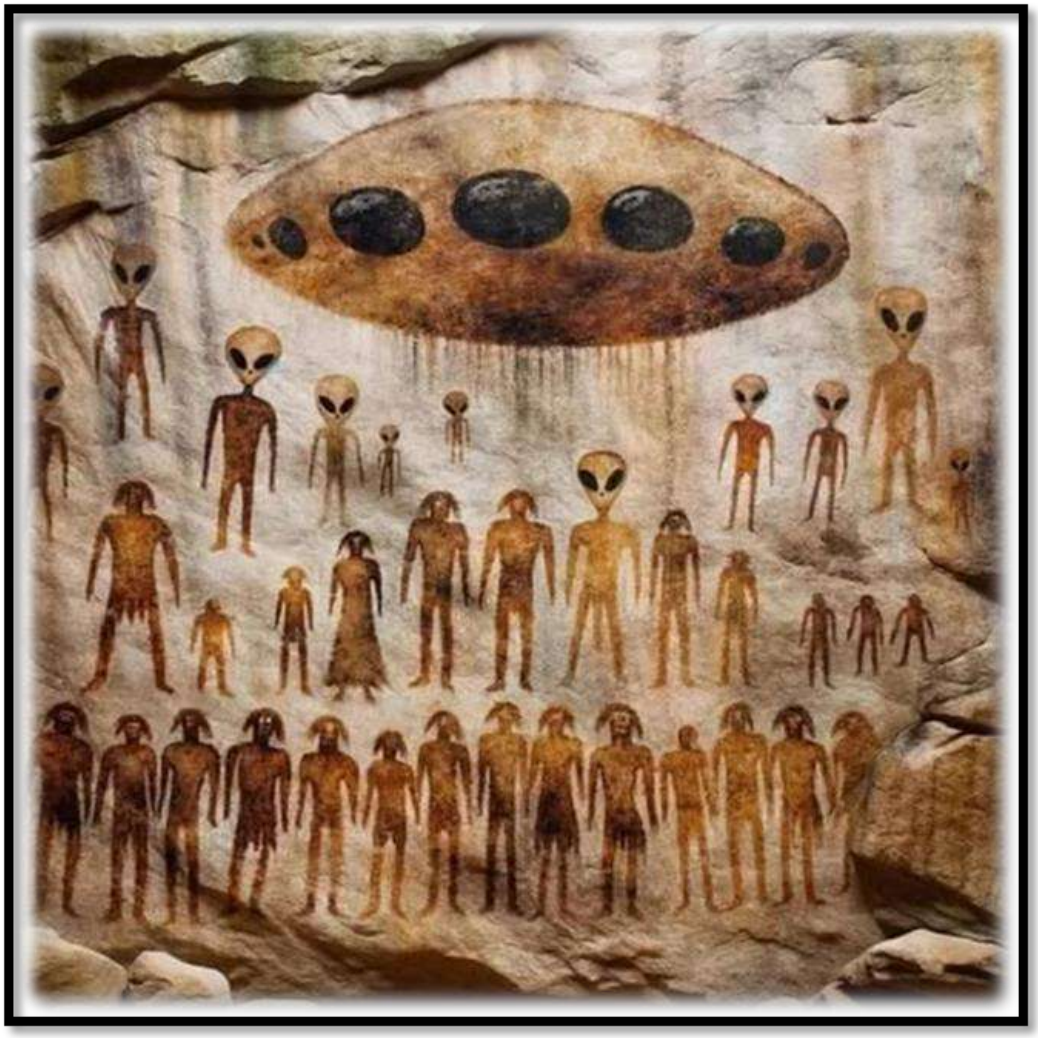

لذلك، قرر الباحثون والعلماء الذين توافدوا على هذه المنطقة أن يقوموا بالشيء المنطقي الوحيد الذي يثبت جدية هذه الرسومات من عدمها، وهو دراسة عمر هذه اللوحات والرسوم ، فكانت المفاجأة أن عمرها يتراوح بين **17** إلى **20** ألف عام !!

بعد هذه الحقيقة العلمية المؤكدة، ظهرت نظريات مختلفة، منها ما يقول إن مخلوقات فضائية جاءت إلى هذه المنطقة في هذا الوقت السحيق من عمر الحضارة البشرية، وأرادت ترك أثر بها. ونظريات أخرى تقول إن هذه الرسوم والجداريات رسمها بشر من المستقبل استطاعوا العودة إلى الماضي بتقنية معينة سيتوصلون إليها، وأرادوا ترك هذا الأثر للتعبير بأنهم استطاعوا العودة إلى الماضي. وهناك نظريات تشير إلى أن هذه الرسومات وضعها أهل أتلانتس الغارقة، الذين توصلوا لعلوم وتقنيات مذهلة تضاهي ما وصل إليه البشر اليوم.

لكن المؤكد هو أن كهوف تاسيلي تحديداً هي واحدة من أكثر الظواهر غموضاً في التاريخ الإنساني منذ اكتشافها، والتي تثبت بشكل عام أن التاريخ الذي نعرفه اليوم هو تاريخ حديث الولادة، وأن هناك أناساً وشعوباً وحضارات وأحداثًا جرت في هذه الأرض منذ زمن سحيق، ولا نعرف عنها شيئاً على الإطلاق !!)

نظر الاثنان إلى بعضها بدهشة للحظات مطولة ثم هشّم صوت أرين الصمت بنبرة من ذهول :

= لم أكن أريد أن أصدق، لكن يبدو أن الأمر يتجاوز حدود المنطق.

حدّق فيه باتريك بارتباك ثم قال ببطء، كأنه ينطق استنتاجًا لا يريده :

= إذن... فكهوف تاسيلي لها علاقة بالفضائيين أيضًا ؟

أومأ أرين، ومرر يده على وجهه المتعب قبل أن يرد :

= بالضبط يا باتريك. يبدو أننا أمام قاتل متسلسل مهووس بالكائنات الفضائية . لا يقتل عشوائيًا، بل يختار ضحاياه بعناية، ويربط جرائمه برسائل رمزية. إنه يريد أن يقول شيئًا، أن يبعث برسالة من خلال الموت نفسه ... لكن ما هي بالضبط ؟ هذا ما لم نفهمه بعد.

= و لا أخفيك القول سيدي أنه بدأ ينجح في مسعاه ، فهذه القصص العجيبة عن الفضائيين لا تترك أمامنا خياراً إلا الإيمان بوجودهم ..

= محق !!

ساد الصمت للحظات. كان صوت المطر بالخارج يعزف إيقاعًا بطيئًا على زجاج النوافذ، فيما ظل كلا الرجلين غارقين في أفكارهما. ثم قال باتريك بصوت خافت :

= ربما يحاول القاتل أن يربط بين التاريخ القديم وحاضرنا ، بين تلك الكهوف المرسومة في أعماق الصحراء الإفريقية وبين ما يعتقد أنه عودة الفضائيين في زمننا الراهن كما حدث مع الشاب كايلي.

ابتسم أرين ابتسامة غامضة وقال و عيناه تلمعان :

= أو ربما كان هو نفسه من الفضائيين و يريد إثبات وجوده بنفسه .. لا تنس أن الجرائم ارتكبت بغموض غير مألوف دون ترك أي أثر أو دليل ..

حملق فيه باترك بذهول و قد انعقد لسانه عن الإجابة ..

في صباح اليوم التالي، ومع خيوط الضوء الأولى التي انعكست على زجاج المكتب، وصل تقرير الطبيب الشرعي نونيز. طرق الباب برفق ثم دخل وعلى وجهه تلك الملامح الجادة التي لا تعرف المزاح. وضع التقرير أمام أرين وقال باقتضاب :

= النتائج النهائية، سيدي. سبب الوفاة : **حقن بإبرة سيانيد**.

رفع أرين حاجبيه، فتابع نونيز :

= تم الحقن في الوريد الأيسر، دون أي علامات مقاومة. يبدو أن الجاني كان قريبًا من الضحية أو استغل لحظة ضعف. أما بالنسبة لما لاحظناه من آثار بيضاء على جسده، فهي ليست ناجمة عن الجريمة، بل عن إصابته المزمنة **بمرض الصداف الجلدي**، وهو يترك بقعًا لا تزول أبدًا، آثارًا ترافق الجسد حتى بعد الموت.

قرأ أرين التقرير بتمعن، ثم رفع عينيه نحو باتريك الذي كان

يراقب بصمت.

قال بصوت خافت، كمن يكتشف رابطًا بين عالَمين لا يلتقيان :

= هكذا إذن ... المجرم أراد أن يخبرنا شيئًا. (الآثار على الجسد لا تُمحى) ، إنه يقارن بين آثار مرض الصداف على جسد الضحية، وبين الرسوم المنقوشة على جدران كهوف تاسيلي التي يعتقد العلماء أن الفضائيين تركوها. كلاهما أثر لا يُمحى، بصمة على الجلد، و أخرى على الصخر... و الآن بصمة المجرم على جريمته .. كما دعانا من قبل إلى عدم النسيان كمريض الزهايمر ..

حدّق باتريك فيه طويلاً، ثم قال ببطء :

= الأمراض ليست صدفة إذن ، أليس كذلك ؟

ابتسم أرين ابتسامة غريبة، مزيج من الإعجاب والارتباك، وقال وهو يحدق في الورقة كمن ينظر إلى مرآة لعقل شخص مختل :

= لا يا باتريك ... ليست صدفة، بل صدافٌ سيترك أثراً لن يزول ..

توقف قليلًا، ثم أضاف بصوت ثقيل :

= مع أي عقل سايكوباثي نتعامل؟

ظل كلاهما صامتًا بعد تلك الجملة، وكأن الكلمات التي نُطقت للتو فتحت بوابة نحو شيء أكبر من مجرد جريمة قتل.

في الخارج، كانت شمس ميامي تشرق ببطء فوق المدينة، تذيب بقايا المطر على الأرصفة، فيما ظل أرين يحدق في الورقتين أمامه :

(أقراص دروبا ... كهوف تاسيلي)

اثنان من ألغاز الكون، واثنان من القتلى، وجريمة ثالثة ربما تتشكل في رحم مكان ما و تتهيأ للولادة ، فهل يمكنهم إجهاضاها في الوقت المناسب ؟!.

الفصل الخامس

تماثيل أكامبارو

الولايات المتحدة الأمريكية

فلوريدا / ميامي ..

2036 م ..

كان المساءُ ساكنًا على غير عادة ميامي، كأن البحر هناك قرر أن يحبس أنفاسه احترامًا لغروبٍ ثقيلٍ بالأسئلة. جلس المحقق أرين دارلو في مطعمٍ مطل على الساحل، عند طاولة صغيرة تضيئها شمعة وحيدة، تترنح شعلتها كأنها تحاول قراءة ما يدور في رأسه الصارم. و مقابله جلست ماريسا لويل، خطيبته السمراء الهادئة، ذات الشعر الأسود المنسدل حتى كتفيها والعينين البنيتين اللتين تملكان قدرة فريدة على اختراق صمته.

همست ماريسا بعد أن وضعت كفّها على يده :

= تبدو بعيدًا يا أرين ... لست هنا ، و كأنك في عالمٍ آخر. هل هي قضية جديدة ؟

رفع عينيه نحوها، بدا عليه الإرهاق أكثر من التعب، ثم قال بنبرةٍ خافتة :

= لا شيء يخفى عن عينك الخبيرة بتحليل الأنفس .. بالفعل ، بل سلسلة غريبة من القضايا، لا تشبه شيئًا تعاملتُ معه من قبل.

= أثرت فضولي .. هلّا أخبرتني عنها أكثر ..؟!

تنهد وأجاب :

= بالطبع .. أولى الضحايا كانت السيدة هيلين، ثمانينية تعاني من **الزهايمر الجزئي**، وُجدت مخنوقة على كرسيها الهزاز في شقتها ، ولم نجد أي دليل، لا بصمات، لا مقاومة، لا أثر لاقتحام. فقط ورقة مطوية بإحكام في يدها، كتب فيها بخطٍ مزخرف : (**أقراص دروبا ... كي لا نُصاب بالزهايمر وننسى الحقيقة**) ..

رفعت ماريسا حاجبيها دهشةً، فأكمل أرين :

= وبعد أيام فقط، جريمة أخرى. رجل مسن يعيش وحده مصاب **بمرض الصداف** ، وُجد ممددًا على الأرض، بلا علامات مقاومة أيضًا، وورقة أخرى موضوعة بعناية تحت رأسه، تقول : (**كهوف تاسيلي ... الآثار على الجسد لا تُمحى**) ..

القاتل ينتقي ضحاياه بعناية، يختار العجائز، الضعفاء، ويترك لنا هذه الرسائل المشفّرة التي تربط القتل بأساطير عن الفضائيين ..

= فضائيين ؟!!

= أجل ، تبين بعد البحث أن أقراص دروبا و كهوف تاسيلي اكتشافات أثرية تعزز فرضية وجود الفضائيين بقوة ..

أمالت ماريسا رأسها قليلاً، ونظرت إلى البحر من النافذة كمن تحاول قراءة فكرٍ مضطرب خلف الأفق، ثم قالت بهدوء الطبيب حين يضع تشخيصه الأولي :

= أرين ... هذا الشخص لا يؤمن بالقتل كجريمة، بل كوسيلة لشرح معتقد. هناك نمط واضح في فكره : فضائيون، رموز، أمراض... كلها تدور حول فقدان الاتصال بالواقع. أعتقد أننا أمام حالة متقدمة من **اضطراب الشخصية الفُصامانية** التي تؤمن بالماورائيات و بالأفكار الغريبة بشدة ، أو ربما **فصامٍ ذُهاني مرتبط بالأفكار الغيبية**. إنه يعتقد أن هناك كائنات أو قوى خارقة تتواصل معه، أو تملي عليه رسائل من عالم آخر.. صمته، اختياره للرموز الغريبة، والأمراض المرتبطة بالهوية والذاكرة ... كلها تدل على انفصالٍ شبه تام بين واقعه الداخلي والعالم الخارجي. هذا القاتل لا يعيش بيننا كما نعيش، بل في كونٍ موازٍ صنعه لنفسه.

بقي أرين صامتًا لحظة، مأخوذًا بعمق تحليلها، ثم قال وهو يبتسم بخفةٍ نادرة :

= أحيانًا أنسى أنكِ أخطر منّي حين تفكرين.

ضحكت برقة، لكن ضحكتها لم تكتمل، فقد رنّ هاتفه طويلاً

على الطاولة. نظر إلى الشاشة ثم أجاب، وكان الصوت المتوتر على الطرف الآخر هو باتريك، مساعده :

= سيدي، لدينا جريمة جديدة قبل ساعة فقط، في حي كورال جابلز. الضابط المناوب هناك، لكنه يقول إن مسرح الجريمة يحمل نفس طابع الجرائم السابقة ، و... نعم، هناك ورقة أيضًا. هل ترغب أن تتفحصه بنفسك ؟

قال أرين بهدوءٍ متماسك :

= لا تلمسوا شيئًا حتى أصل. أنا في الطريق.

أنهى المكالمة ووضع الهاتف ببطء، ثم التفت إلى ماريسا التي كانت تراقبه بعينين تعرفان ما يعنيه هذا الصمت.

قال بنبرةٍ دافئة فيها شعور كبير بالذنب كونه سيغادر السهرة قبل أن تبدأ :

= كما توقعنا من قبل .. جريمة ثالثة بنفس الأسلوب. يبدو أن ميامي تحمل في أحشائها قاتلاً متسلسلاً.

ابتسمت ابتسامةً تجمع بين القلق والفضول المهني، وقالت :

= اذهب يا أرين. يبدو أن هذا القاتل يعيش في عالمٍ لا حدود فيه بين الواقع والخيال. جنونه متلبس بحمى الماورائيات... وربما يرى في كل جريمة وسيلة لتمرير رسالة كونية يعتقد أنه مُكلّف بها. فقط، كن حذرًا. من يعيش في هذا النوع من الانفصال عن الواقع، لا يمكن التنبؤ بخطوته التالية.

وقف أرين، وارتدى معطفه، ثم انحنى قليلًا نحوها وقال

بصوتٍ خافتٍ يشبه الهمس :

= للحظات يا ماريسا، أشعر أنني لا ألاحق قاتلًا ... بل فكرة تحاول أن تتجسد.

غادر بخطواتٍ هادئة نحو الظلام، فيما بقيت ماريسا تحدق في الشمعة المترنحة، كأنها تستمع لصدى كلماته مع هدير الأمواج ..

****

كانت السماء الرمادية فوق كورال جابلز تنذر بمطرٍ خفيف حين وصل أرين دارلو إلى مسرح الجريمة الجديد، وقد بدا وجهه أكثر صرامة من المعتاد، كأنّ التعب لم يعد شيئًا جسديًا، بل فكرة تلاحقه. توقّف أمام الورشة الصغيرة التي تعود للضحية، مبنى خشبي قديم تتدلى عند مدخله لوحات محفورة بعناية، تصوّر وجوهًا غريبة الملامح وأشكالًا تشبه الكواكب. الهواء كان مشبعًا برائحة نشارة الخشب الممزوجة برطوبةٍ ثقيلة، وصوت صفير الريح يتخلل الشقوق كأنه يتنفس مع المكان.

دخل أرين، يتقدمه باتريك، فيما كان ضوء المصابيح البيضاء ينعكس على الأدوات المعدنية المعلقة في الجدران كجنودٍ جامدين في موضعهم. في وسط الورشة، وعلى طاولة النحت الكبيرة، كان الجسد ممددًا بطريقة طقسية، اليدان ممدودتان جانبًا، والعينان نصف مفتوحتين كأنهما تراقبان شيئًا لم يفهمه أحد. كانت ملامحه هادئة بشكلٍ غريب، لا تشي بصراعٍ أو

مقاومة، بل أقرب إلى سكون الفنان الذي توقف عن العمل فجأة.

تقدّم الطبيب الشرعي نونيز بخطوات محسوبة وقال وهو ينظر في مذكرته :

= الضحية يُدعى **مايكل فاندنر**، عمره واحد وأربعون عامًا. مصاب بطيفٍ من التوحد مع متلازمة سافانت، قدراته المذهلة في النحت جعلته معروفًا في أوساط محدودة من محبي الفنون الغريبة.

وأشار بيده نحو إحدى الزوايا حيث يقف شخص غارق في الأسى وأضاف :

= عثر عليه تلميذه عند قدومه إلى الورشة هذا المساء. يبدو أن الوفاة حصلت قبل خمس ساعات تقريبًا، أي حوالي الرابعة مساءً. السبب : ضربة قوية على مؤخرة الرأس بأحد التماثيل الحجرية الثقيلة الموجودة هنا.

اقترب أرين ببطء من الطاولة، ألقى نظرة دقيقة على الجرح، ثم انتقل بعينيه إلى ما كان بجانب الجثة : مجسم لطبقٍ طائرٍ غريب الشكل، بدا من صنع الضحية نفسه، نُحت بعنايةٍ مذهلة في قطعة من الجرانيت الرمادي، يعلوه غبار خفيف لم تُمسّه الأيدي منذ ساعات. تحت المجسم كانت هناك ورقة مطوية بعناية متقنة، فتحها أرين ببطءٍ وهو يرتدي قفازيه، وقرأ بصوتٍ خافتٍ يحمل ثقل المفاجأة :

(تماثيل أكامبارو – عندما ينطق الفن بالحقيقة)

رفع نظره إلى باتريك، الذي عقد حاجبيه بدهشةٍ حذرة، ثم قال بصوتٍ مبحوح :

= هذا القاتل يعرف كيف يختار رموزه... كل مرة يستدعي أسطورة أثرية مختلفة.

راقب أرين أرجاء الورشة بصمتٍ طويل، عيناه تنتقلان من الأدوات المصفوفة بترتيبٍ هندسي، إلى الغبار الخفيف على الأرضية، إلى الملامح الهادئة للضحية، كأنه يبحث عن شيءٍ غير منظور. لم يكن هناك أي كسرٍ في النوافذ أو الأبواب، ولا أثر لاقتحام أو صراع. حتى أدوات النحت كانت موضوعة كما لو أن العمل توقف لحظة واحدة قبل الموت.

قال نونيز وهو يغلق دفتره :

= لا آثار مقاومة، لا بصمات غريبة، أداة الجريمة واضحة هي ذاك التمثال الملطخ بالدماء. مسرح الجريمة نظيف... بشكلٍ مثير للريبة.

ظل أرين صامتًا، يمرر أصابعه على حافة الطاولة، ثم قال بنبرةٍ منخفضة :

= القاتل لا يقتل في فوضى، بل في نظام. كل شيء موضوعٌ كجزء من رسالة. هذه ليست جرائم قتل فقط، بل فصولٌ من طقسٍ غامض يعتقد أنه يفضح (الحقيقة) ..

ثم التفت إلى فريقه قائلاً بحزمٍ مألوف :

= أُغلقوا مسرح الجريمة. لا يدخل أحد بعدنا. أريد تقريرًا مفصلًا عن تماثيل أكامبارو خلال ساعات. ودعوا كل فرضية مفتوحة... حتى أكثرها جنونًا.

خرج المحقق و مساعده من الورشة بعد أن ودعا نونيز، والليل يحكم قبضته على المدينة. في طريق العودة إلى المكتب، كان صمت السيارة أشبه بصفحةٍ بيضاء تتهيأ لكتابة فصلٍ جديد من الغموض.

في مكتبه، جلس أرين أمام النافذة، يراقب أضواء الميناء البعيدة، فيما انشغل باتريك بتقليب ملفات الجرائم السابقة. تناقشا طويلًا حول هذا النمط الغريب من القتل، عن الرسائل المتصلة بأساطير الفضائيين، وعن الرابط المستتر الذي يجمع بين الموت والفن. مضت ساعتان على الجدال الساخن حين رنّ الجهاز معلنًا وصول التقرير المطلوب.

فتح باتريك الملف الإلكتروني، أخذ نفسًا عميقًا، وبدأ يقرأ بصوتٍ مرتفع أمام أرين مضمون التقرير العجيب.

(**تماثيل أكامبارو** و هي عبارة عن **33** ألف تمثال صغير اكتشفت عام **1944** م من قبل **فالديمار** في مدينة أكامبارو بجوار العاصمة **المكسيكية** مكسيكو سيتي و قسم كبير منها يمثل على نحو غريب و غير مفسّر بشر يروضون ديناصورات و أخرى لصحون طائرة ! ..

و قد يقول البعض أنّ هنالك تفسير منطقي لذلك وهو أن

تكون التماثيل قد صنعت في العصر الحديث و دفنت هناك ، لكن هنا تكمن المفاجأة الصادمة ، فتحليل التماثيل علمياً أثبت أنها تعود لقرون خلت ، أي قبل اكتشاف الديناصورات و قبل الكلام عن الفضائيين و مركباتهم ..

و لا تفسيرات منطقية في جعبة العلماء حتى الآن باستثناء أن التماثيل صنعت من قبل الفضائيين أنفسهم أو من قبل بشر احتكوا بالفضائيين الذين أخبروهم بقصص الديناصورات في الماضي السحيق قبل انقراضها و في الحالتين يعود الفضائيون إلى واجهة الحديث بأدلة جديدة تفرض نفسها بقوة ..)

أنهى باتريك قراءة السطور الأخيرة من التقرير ، وبقي صوته عالقاً في الغرفة، يلقي بظلاله على الأرجاء. رفع رأسه ببطء نحو أرين، ونظرهما التقيا في لحظةٍ من الذهول

المربك لم يعتادا عليه بعد فكل قصة أغرب من التي سبقتها !! قال باتريك بصوتٍ خافت :

= هل تصدّق هذا سيدي !؟ أكثر من ثلاثة وثلاثين ألف تمثال لبشر يروضون ديناصورات و صحون طائرة تعود لقرون يفترض فيها أن البشر لم يسمعوا بعد بالديناصورات و الفضائيين !! ...

أطلق أرين زفيراً بطيئاً، ثم قال بنبرةٍ تجمع بين التفكير و الحكمة :

=عندما ينطق الفن بالحقيقة ... هذا ما كتب المجرم، أليس كذلك؟ كأنه يقول إن الفن ليس خيالاً، بل ذاكرة ضائعة من زمنٍ لا يخصّ البشر وحدهم. ذاكرة زرعها أولئك الذين مرّوا من هنا قبلنا، من وراء النجوم في كل مكان ..

= لكن ما علاقة الضحية بهذا كله ؟ رجل بسيط مصاب بطيف التوحّد، بقدرة مذهلة على النحت، عقله مختلف لكنه عبقري في ما يفعل. لماذا يختاره القاتل بعينه؟ ما الرابط بين تماثيل أكامبارو وهذا الفنان المنعزل ؟!

أجاب أرين وهو ينهض من مكانه، يسير بخطوات بطيئة حول المكتب :

= القاتل لا يختار عبثاً يا باتريك. تذكّر : الضحية الأولى كانت سيدة مصابة بالزهايمر، كي لا ننسى و الآخر مريض بالصداف بعدياً عن الصدف .. إننا أمام قاتل يرى في ضحاياه انعكاساً لأفكاره الغريبة، ربما يراهم مفاتيحاً نحو

الحقيقة التي يطاردها ..

= و ماذا عن الضحية الثالثة ؟ ما علاقة التوحد بالفضائيين؟

جلس أرين مجدداً، وأمسك بقلمه وهو يقول بتفكير عميق :

= كثير من الأساطير يا باتريك تصف الفضائيين بأنهم أصحاب عقول خارقة، منطقهم صارم، بلا انفعال، بلا عاطفة زائدة ... وكأنهم مصابون بشيء يشبه التوحّد عند البشر. عقولهم تعمل بنظامٍ رياضي دقيق، لا فوضى فيها، لا عشوائية، كأنهم تجسيد للترتيب الكوني نفسه. متلازمة سافانت عند الإنسان ليست إلا ومضة صغيرة مما هم عليه.

ضحك باتريك بخفة، وقال :

= إذن في رأيك الفضائيون عباقرة مصابون بالتوحد ؟

ابتسم أرين ابتسامة غامضة، وحدّق في الأفق من نافذة المكتب التي تهتز تحت ضربات المطر :

= ربما... عباقرة إلى درجةٍ تُقصينا عن الفهم. تطوّرهم العقلي جعلهم قادرين على تجاوز المسافات بين النجوم، على السفر بين المجرات، على الانفصال عن المشاعر التي تربك قراراتنا. إنهم عقول تسير في فراغٍ بارد لا يحتاج إلى قلب، فقط منطقٌ مطلق ..

ثم وضع الملف جانباً، وصوته صار أكثر هدوءاً وغموضاً:

= ولهذا أقول لك يا باتريك، قاتلنا ليس مجرد مهووس. هو

شخص يعتقد أنه يشاركهم هذا المنطق، هذا النقاء. إنه لا يقتل كالبشر، بل كما لو كان ينفذ طقساً كونياً، طقساً يربط بين الفن، والألم، والموت، وكأنه يحاول أن يجعل الحقيقة مرئية من خلال الفناء..

صمت قليلاً ثم تابع بنبرة جدية مقلقة :

= بل ربما ما هو أخطر من ذلك .. إنه ماهر على نحوٍ يثير في داخلي الشك أنه واحد منهم بالفعل ، كما أخبرتك من قبل

ساد صمت ثقيل بعد الجملة الأخيرة التي هبطت على الغرفة كطبق طائر غامض و مخيف .. و تسارع إيقاع هطول المطر على زجاج المكتب كأنه يتآلف مع اللحظة الدرامية ..

الفصل السادس

تسونامي صحفي

الولايات المتحدة الأمريكية

2036 م ..

كان الليل يلف ميامي بثوبٍ أسود رقيق، والهواء ما يزال متعبًا من حرارة النهار، يحاول أن يتسلل بين الأشجار والجدران، يحمل معه رائحة الرطوبة والملح من خليج المدينة، لكنه لم يخفف من وطأة الفزع الذي بدأ يشق المدينة من داخلها. في البداية، كانت الأخبار تتسلل كهمساتٍ مترددة من المكاتب الصحفية إلى الشوارع الضيقة، تتسرب عبر الهواتف المحمولة وشرائط الأخبار الصباحية، ثم انفجرت في غضون ساعات إلى موجةٍ لا يمكن حصرها. كل منزل، كل مقهى، كل شارع بدأ يهمس باسم ميامي مع نفَسٍ من الرعب، وكأن المدينة بأكملها تعرف أن شيئًا غير مرئي قد دخل إليها .. قاتل متسلسل حر و طليق يتنقل بين أروقتها بلا قيود ..

الصحف الكبرى وسّعت صفحاتها، وطبعت العناوين بحروفٍ سوداء ثقيلة، مفعمة بالارتباك والتشويق : (**القاتل الذي يكتب بالنجوم والرموز، رسائل الدم**) ... (**أقراص دروبا، كهوف تاسيلي**) ... (**قاتل من الفضاء**) وكل صحيفة بدت وكأنها تحاول أن تتفوق على الأخرى في إثارة الانتباه، من خلال الصور الليلية لمسرح الجرائم، المصابيح الحمراء الزائفة، والظلال الطويلة التي تمتدّ على الأرصفة.

في المساء، توالت شاشات التلفاز، لا تحمل الأخبار فقط، بل المشاعر نفسها. المذيعون بنظرات متوترة، يحاولون تفسير ما لا يمكن تفسيره، بينما خلفهم تُعرض مشاهد مختصرة لأماكن الجريمة : أوراق مطوية بعناية، تماثيل صغيرة لطبقاتٍ غريبة، أشكال لرموز لا يعرفها أحد. الجمهور أمامه الخوف والدهشة يختلطان، والجرائم تحولت إلى عرضٍ بصريٍ حي، كل مشهد منه يثير المزيد من التكهنات..

لكن وسائل التواصل الاجتماعي كانت الوقود الحقيقي للنار. الهاشتاغات انتشرت في ساعات معدودة :

 # أقراص_دروبا..

 # كهوف_تاسيلي ..

 # تماثيل_أكامبارو...

و عشرات غيرها .. صار كل مستخدم كاشفًا للغموض، وكل فيديو مسرّب مادةً للنقاش والتحليل، وكل تعليقٍ يضيف فرضية جديدة : ربما المجرم جزء من طقسٍ أقدم من الزمن، أو هو رسول من حضارةٍ خارج هذا العالم، أو شخص يركّب رموزًا لتخويف البشر.

تم تسريب صور حصرية من مسارح الجرائم إلى العامة : زوايا مظلمة من الورشة ، أوراق مطوية بعناية ، كرسي هزاز .. ألوان الضوء والظل كانت تضيف إلى المشهد قداسةً مخيفة، حتى بدت الصور العادية كأنها مقتطفات من كتاب أسطوري.

وفي الوقت نفسه، انقسم الجمهور إلى مجموعات متنافرة :

فريقٌ يصدق في تأثير الكائنات الغريبة، ويحلل الرسائل بعين فلكية، وفريقٌ آخر يعتبر كل شيء خدعة أو حيلة إعلامية. المدينة بأكملها كانت تتنفس الرعب. حتى الكلاب صارت تنبح بلا سبب، والهواء يحمل شيئًا من القلق والاضطراب، كأنه يعلم ما يجهله البشر.

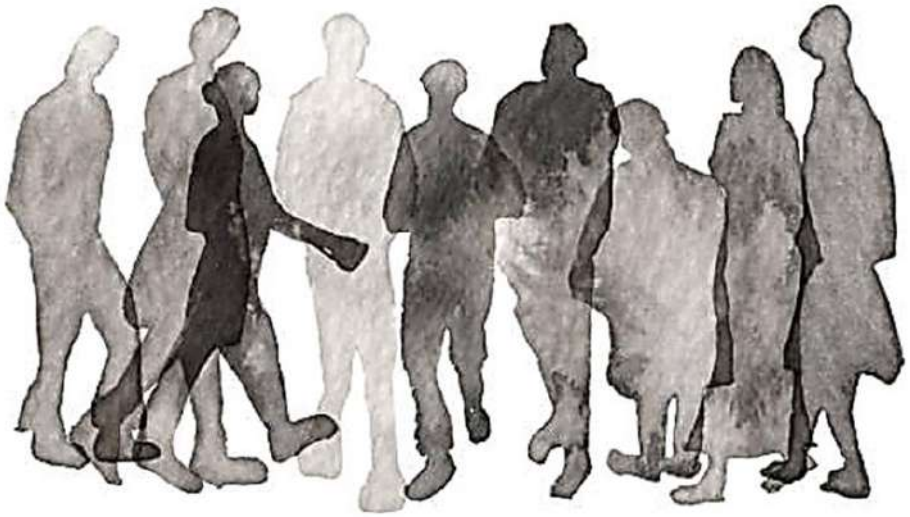

العلماء كانوا حاضرين في كل زاوية، كلٌ يحاول تفسير الظاهرة من منظوره. **علماء النفس** على الشاشات يحللون سلوك القاتل : هل هو مختلّ مهووس يظن نفسه رسولاً من كوكب آخر؟ هل يعاني فصامًا ميتافيزيقيًا يجمع بين الهلوسة والطقوس؟ بعضهم تحدث عن اضطرابات الشخصيات النرجسية الفصامانية التي تختلط فيها المعتقدات بالواقع، بينما آخرون ربطوا طقوس القاتل بالطقوس القديمة التي تصور التواصل مع القوى الغيبية أو الكونية.

علماء الأنثروبولوجيا أخذوا الحكاية من بابها الآخر، يكشفون عن أقراصٍ قديمة وكتابات في كهوف، تماثيل مكسيكية وأشكال بشرية غريبة، ويقارنونها برسائل الضحايا. قال أحدهم :

(هذه الرسائل والرموز، وربطها بالاكتشافات الأثرية ، توحي بأن القاتل لا يقتل لمجرد القتل ، بل يحاول إعادة سرد تاريخٍ ضائع ... ربما يرى أن المعرفة الحقيقية مهددة بالنسيان)

المحققون المستقلون لم يتأخروا في تقديم تحليلاتهم، كلٌ يضع فرضية، وكل تحليل أكثر جرأة من الآخر. بعضهم ربط بين اختيار الضحايا والقدرات الذهنية الخاصة بهم، بعضهم رأى في الورق المطوي رسالة رمزية، وكل شخص أضاف قصةً جديدة إلى الرواية الكبيرة التي أصبحت تتشكل أمام أعين العالم.

المدينة نفسها تحوّلت. ميامي لم تعد مكانًا للبحر والموسيقى والمقاهي الصاخبة. الحذر ساد، والنوافذ أُغلقت قبل موعدها المعتاد، والمارة يتجولون بعينين حذرتين، يراقبون الغريب قبل أن يلقوا عليه التحية. كان الشعور بالرقابة والريبة في كل ركن، والهواء يحمل نفس القلق الذي يختبئ خلف

الجدران.

وسط كل هذا، كان اسم المحقق أرين يطفو على كل لسان : الصحافة تطالب بحل سريع، الجمهور ينتظر نتائج التحقيقات، والشرطة تضغط لإنهاء القضايا قبل أن تتحول المدينة إلى ذعر دائم. الضغوط تراكمت فوق أرين : لا يقتصر الأمر على جمع الأدلة، بل على الحفاظ على الرؤية، على عدم السماح للإعلام بتحريف الوقائع، وعلى عدم السماح للمدينة بالغرق في الذعر.

في الليالي التالية، جلس أرين لساعات طويلة في مكتبه، أمام خريطة ميامي المغطاة بعلامات حمراء لكل جريمة. كان يتأمل خطوط الزمن المتقاطعة، يحاول أن يرى نمطًا فريداً وسط الفوضى. كل ضحية كانت تبدو له كفصلٍ من روايةٍ أكبر، رواية تعكس رغبة القاتل في أن تجعل المدينة كلها شاهدة على طقوسه، وأن تمنح الرموز حياةً تتجاوز الموت.

كان يعلم أن الحل لن يكون مجرد القبض على القاتل، بل في فهم نواياه وأسبابه، في إدراك معنى كل ورقة مطوية، كل مجسم، كل ضحية اختارها بعناية. وكلما قرأ تقريرًا جديدًا، شعر أن القصة أكبر من أي مدينة، أكبر من ميامي نفسها، وكأنها امتداد لوعيٍ جماعيٍ يشبه الأحلام القديمة أو الأساطير التي تتكرر عبر العصور.

في مكتبه، نظر أرين إلى باتريك ذات مرة و قال :

= لقد حقق القاتل مبتغاه و أصبح الفضائيون حديث الشارع و الناس في كل مكان .. نحن كنا مجرد أدوات لتحقيق هدفه

لا أكثر ..

= و هل تتوقع أن تتوقف الجرائم بذلك ؟

= لا أستبعد ذلك .. صحيح أنه قاتل متسلسل ، لكنه ليس كغيره يقتل فقط لمجرد لذة القتل ، بل لإيصال فكرة ، و فكرته وصلت كما يظهر فما حاجته لمزيد من الجرائم ؟!

و بينما المطر يهطل على المدينة مدراراً، يبلل الأرصفة والمداخل، ويخلق انعكاسات مضاعفة للأضواء، كأن ميامي نفسها تُعيد عرض الجرائم أمام سكانها ، بقي أرين ورفيقه باتريك، يراقبان، يحللان، ويحاولان أن يجدا خيط الحقيقة في بحرٍ من الرموز، قبل أن تصبح المدينة نفسها مجرد فصلٍ من قصةٍ لا يعرف أحد نهايتها.

الفصل السابع

هيكل أتاكاما

الولايات المتحدة الأمريكية / ميامي ..

2036 م ..

كان الصباح في ميامي مختلفًا هذه المرة؛ شاحبًا، مرتبكًا، كأن المدينة استيقظت على جرحٍ جديد في جسدها المتعب من الخوف. في المكاتب الصحفية التي لم تنم، كانت الوجوه ما تزال متجهمة، والعناوين لا تزال تعيد تدوير الغموض نفسه، حين رنّ هاتف أرين مع أول خيوط الضوء. لم يكن الصوت على الطرف الآخر بحاجة إلى مقدمات : (جريمة جديدة، سيدي... في حي كروسو بارك) ..

توقف أرين لحظة، نظر إلى باتريك الذي فهم كل شيء من تعابير وجهه، لقد فعلها مجدداً و خالف كل التوقعات !! ثم غادرا معًا بخطواتٍ سريعة.

في الطريق، كانت شوارع ميامي تبدو كأنها تراقبهم من خلف الزجاج المغبش، المدينة التي اعتادت صخب الموسيقى وازدحام السياح صارت أكثر صمتًا من مقبرة. قال باتريك بصوتٍ متهكم يخفي قلقه :

= أظنه انتهى، ألم نقل ذلك ؟ انتشرت قصته في كل مكان، العالم كله يتحدث عنه، فلماذا يواصل بحق الجحيم ؟

أجاب أرين وهو يثبت نظره على الطريق :

= القاتل الذي يسعى للانتباه يتوقف حين يُرى، لكن هذا ...

يسعى لأن يُفهم كما يبدو . إنه لا يكتب كي يتحدث عنه الجمهور بل كي يغيرهم ..

حين وصلا إلى الحي، كانت الشرطة قد طوقت المكان بخطوطها الصفراء المعتادة. أمام بناية صغيرة من طابقٍ واحد، تجمهر الجيران المصدومون. الباب لم يكن مكسورًا، والنوافذ مغلقة، ولا أثر لاختراقٍ أو مقاومة، كما لو أن الموت دخل من تلقاء نفسه.

دخل أرين بخطواتٍ محسوبة، تسبقها عيناه قبل جسده، كعادته في قراءة الصمت قبل الضجيج. في منتصف الغرفة جلس الموت ببرودٍ غريب ، جثة امرأة في الثلاثين من عمرها، قصيرة القامة، وجهها ما يزال يحمل بقايا دهشة وابتسامة مكسورة، كأنها لم تصدق ما حدث حتى اللحظة الأخيرة. على الطاولة القريبة منها، ورقة بيضاء مطوية بعناية تحمل العبارة الجديدة :

(هيكل أتاكاما – كي تنمو الحقيقة أكثر)

اقترب أرين ببطء، أمسك الورقة بحذر كما لو كانت شيئًا مقدسًا، قرأها مرتين ثم نظر إلى باتريك الذي لم يقل شيئًا، فقط رفع حاجبيه في صمتٍ ذاهل.

تقدم الطبيب الشرعي نونيز، قال بصوتٍ منخفض و قد بدأ يتذمر من تتالي الجرائم المتعبة :

= طلقة واحدة في الرأس، السلاح من عيار صغير ... لا كدمات، لا مقاومة، لا أثر لاقتحام. زمن الوفاة قبل حوالي أربع ساعات. كانت وحدها كعادتها ..

تنهد أرين وهو يمسح على جبينه بمنديل :

= و كأننا أمام مسرحٍ يعاد بناؤه في كل مرة. نفس الدقة، نفس البصمة المعدومة، لكن الضحية مختلفة هذه المرة.

رد باتريك :

= ضحية في الثلاثين، تقزم خلقي بمرض أكوندروبليجيا ، تعيش وحدها، وتعمل في عروض الشوارع ... لا رابط واضح مع العجائز ولا مع الفن لكن هنالك ارتباط بالمرض من جديد عندما ذكر القاتل أن الحقيقة يجب أن تنمو ..

أومأ أرين رأسه موافقاً ثم أعطى تعليماته المعتادة :

= أغلقوا المكان. لا أحد يدخل أو يخرج إلا بإذني. اجمعوا تقريرًا كاملاً عن الضحية، حياتها، أعمالها، زوارها، ثم تقريرًا عن هذا الهيكل الغريب، هيكل أتاكاما ..

وقف نونيز باحترام، و كانت العيون كلها تراقب أرين بتعاطف وهو يغادر بخطواتٍ ثقيلة كئيبة ، كمن يحمل لغزًا يتكاثر بدل أن يُحل.

في المكتب، مع انتصاف النهار ، جلس أرين في كرسيه المائل قليلاً إلى الخلف، بينما كان باتريك يذرع الغرفة ذهابًا وإيابًا، لا يطيق الصمت الذي يلتف حولهما مثل ضبابٍ كثيف.

قال باتريك وهو يضرب بيده على الطاولة :

= هذا جنون، سيدي .. لقد عرف الجميع بقصته، صار وجهه حديث الإعلام والعالم كله، بل هناك من يقلد رموزه في مواقع التواصل ... ومع ذلك يواصل القتل كأن شيئًا لم يحدث .. هل هذا نوع من الاستفزاز لنا ؟!

ابتسم أرين بخفوتٍ ساخر :

= أحيانًا، حين تنظر الوحوش في المرآة وترى الخوف في عيون الآخرين، تظن أنها صارت إلهًا. هذا المجرم يشعر بأنه فوق الناس، فوق الواقع، فوق السماء نفسها ..

و قبل أن يجيب باتريك وصل تقرير الأرشيف إلى الحاسوب

، فتحه و شرع يقرأ بفضول أكثر منه واجب مهني :

(هيكل أتاكاما ... اكتشف في صحراء تشيلي عام **2003**، هيكل عظمي صغير لا يتجاوز طوله خمسة عشر سنتيمترًا و جد في حقيبة جلدية خلف إحدى كنائس صحراء أتاكاما، قيل إنه لأنثى، لكن شكل جمجمته غير بشري تمامًا بل يشبه سحنة الفضائيين على نحو واضح ..

بعض العلماء قالوا إنه لجنين مشوه، وآخرون أقسموا أنه لزائر من كوكبٍ آخر ، و الجدل لا يزال قائماً حتى اليوم ، لا مزيد من المعلومات عنه فهو لغز بلا خلفية واضحة)

انتهى التقرير و عقب باتريك عليه مباشرةً بنبرةٍ متوترة :

= يبدو أن القاتل قرر أن يجعل من هذا الهيكل رمزه الجديد، يقول (كي تنمو الحقيقة أكثر) ... أي أن فكرة وجود الفضائيين كهيكل أتاكاما بالضبط لا تزال قزماً صغيراً و القاتل يريدها أن تنمو و تكبر لتجتاح العالم على ما يبدو ..

تمتم أرين، وقد عقد يديه أمام وجهه :

= بالضبط ، أصبح جلياً أن القاتل - سواء كان بشرياً أم فضائياً - يتصرف كما لو أنه في مهمة مقدسة. كل جريمة لديه ليست نهاية، بل بذرة. يزرعها في الجسد والرمز، ويتركها لتنمو في وعي الناس. إنه يعلم أننا نلاحقه، بل يعتمد على ذلك. هو بحاجة إلى نظراتنا كما يحتاج النبات إلى الضوء ..

ساد صمتٍ طويل بعدها ، لا يُسمع فيه سوى صوت المكيف ورفرفة ورق التقرير على المكتب.. إذ أن الكلمات استهلكت و نفذت و لم يعد هنالك شيء جديد ليقال .. و يبدو أن الكلام كله أصبح من حق القاتل و على الجميع الإنصات و الإصغاء لا أكثر ..

كانت تلك الجريمة الرابعة و الأغرب ، ليس في تفاصيلها، بل في استمرارها رغم كل شيء : رغم الشهرة، رغم التحذيرات، رغم أن قصة القاتل صارت تتردد في كل بيت. كأنه لا يعيش في هذا العالم أصلًا، بل في عالمٍ موازٍ يكتب منه مصير البشر كما يكتب الشاعر بيتًا من قصيدة لا يريد أن تنتهي.

,كان أرين يدرك في قرارة نفسه أن المجرم قد خالف توقعاته عمدًا، كمن يهمس له من وراء الغيب :

(لست أنت من يلاحقني ... أنا من يقودك) ..

وفي تلك اللحظة، لم يكن يعرف أن اللعبة لم تنتهِ بل بدأت للتو ، و الحقيقة نفسها، كما قال القاتل في ورقته، تنمو أكثر

فأكثر ..

****

كانت ميامي في ذلك المساء تغلي بالذعر، كما لو أنّ الخوف أصبح مادة تُبث عبر موجات الأثير. خلال ساعات قليلة، انتشرت صور الجريمة الرابعة على الإنترنت : منزلٌ صغير في حيّ هادئ، ضوء أحمر يلمع من سيارة الشرطة، وعبارة القاتل الجديدة مكتوبة على ورقةٍ بيضاء : (هيكل أتاكاما – كي تنمو الحقيقة أكثر) ..

لم تحتج وسائل الإعلام إلى وقتٍ طويل؛ تحولت القصة إلى عاصفة رقمية لا تهدأ. مقاطع مصوّرة من مسرح الجريمة سُرّبت خلسة، وعناوين الجرائد ملأت الواجهات :

(القاتل يعود من جديد ... ميامي ترتجف !!)

(هيكل أتاكاما - لغز جديد في سلسلة الجرائم الفضائية)

وفي مواقع التواصل، اندلع الجدل. كل شخصٍ صار محللًا، وكل حسابٍ تحوّل إلى منبر للرعب والتأويل. بين نظريات المؤامرة والهلع الشعبي، ظهرت آلاف التعليقات تحت الهاشتاغات المتصدرة :

#القاتل الفضائي ..

#جرائم_ميامي الغامضة.

منها ما أيد و زاد يقينه بوجود الفضائيين و منها ما شكك و منها من تملكه الرعب حتى أذنيه :

🗨 @Eleanor_Ray :

كأننا نعيش في فيلمٍ مرعبٍ لا ينتهي. هذا القاتل لا يكتفي بالقتل، بل يعبث بعقولنا. أشعر أنّ المدينة كلها أصبحت مختبرًا لأفكاره المجنونة ..

🗨 @MiamiWatcher :

قرأت عن هيكل أتاكاما من قبل ... مخلوق غريب وجدوه في تشيلي. هل يمكن أن يكون القاتل يلمّح إلى أن البشر ليسوا وحدهم ؟ الأمر يتجاوز القتل، إنه رسالة ..

🗨 @John_Carter87 :

أعيش على بعد شارعين من مكان الجريمة. منذ أسبوعين اشتريت كاميرات مراقبة جديدة. لا أظنني سأغفو الليلة ..

🗨 @Dr_MinaPsych :

من الواضح أن هذا القاتل مصاب بهوسٍ فصاميّ بالماورائيات. إنه يبني هوية رمزية حول فكرة الفضائيين، كأنه يسعى لطمس ذاته داخل أسطورة ..

🗨 @TruthSeeker :

لا أصدق أن الشرطة لم تكتشف شيئًا بعد ! أربع جرائم والقاتل يترك رسائل غامضة فقط ؟! هل هذا عبث أم رسالة خفية ؟

🗨 @AlienFaith :

ماذا لو كان القاتل على حق؟ ربما يحاول فتح أعيننا على حقيقة نخاف مواجهتها. أقراص دروبا، كهوف تاسيلي، تماثيل أكامبارو، والآن هيكل أتاكاما ... لم أسمع بها من قبل ، و اليوم بعد أن عرفت حقيقتها أنا أؤمن بوجود الفضائيين بكل قناعة ..

و غيرها تعليقات كثيرة .....

كانت تلك التعليقات كمرآةٍ تعكس الذعر الجمعيّ.

المدينة بأكملها أصبحت تهمس باسم القاتل في المقاهي، في الحافلات، وفي نشرات الأخبار الليلية.

لم يعد أحد يشعر بالأمان، ولا أحد يجرؤ على الخروج بعد منتصف الليل.

حتى أولئك الذين يسخرون من قصص الفضائيين صاروا

يحدّقون في السماء بخوفٍ غامض، وكأنهم ينتظرون أن تهبط الحقيقة من هناك.

أما ميامي، فقد غدت كأنها نفسٌ حبيسة بين نبضين : نبض الحياة الصاخبة ... ونبض الموت و الجريمة.

الفصل الثامن

مدرسة زيمبابوي

الولايات المتحدة الأمريكية ...

ميامي ..

2036 م ..

استيقظت ميامي ذلك الصباح كما لو أنها تُوقَظُ على صفعةٍ من كابوسٍ حيّ.

كانت الشمس قد بدأت بالكاد تبسط خيوطها على ناطحات الزجاج، حين دوّت أصوات الرصاص في فناء مدرسة ابتدائية هادئة على أطراف المدينة.

الصراخ كان أول ما اخترق الهواء، يليه هدير الركض في الممرات، ثم اختناق الصمت المفاجئ حين أُغلقَت الأبواب

بإحكام. في دقائق معدودة، تحوّلت المدرسة إلى مشهدٍ من الفوضى المذعورة : أطفال يبكون في الزوايا، معلمات يصرخن بأسماء تلاميذهن، وضباط الأمن يتدفّقون إلى الداخل، وجوههم مشدودة كأقواسٍ من خوفٍ وغضب.

لم يُقتل أحد، لكن الرعب كان كفيلاً بأن يُحدث في النفوس ما يفوق الموت وقعًا.

شابّان مجهولان دخلا المدرسة ببرودٍ غريب، أطلقا بضع طلقات في الهواء، ثم اختفيا كما جاءا، بلا أثر، بلا بصمات، بلا سبب.

لكن ما جعل الصدمة تتحوّل إلى رعبٍ عام هو ما حدث بعد دقائق من فرارهما :

انطفأت الأنظمة الإلكترونية في المدرسة فجأة، وارتجّت الشاشات جميعها في صفٍ موحّدٍ كأنها تتنفس من قلبٍ واحد، لتظهر على كل شاشة عبارة واحدة بخطٍ أبيض غريب على خلفية سوداء حالكة :

(مدرسة زيمبابوي – أصغوا لأطفال الآخرين من أجل سلامة أطفالكم)

لم يُفهم المعنى في البداية، لكن وقع الجملة كان كالسيف في الهواء: حادّ، مهدّد، ومشحونٌ بإشارةٍ خفيةٍ لا يمكن تجاهلها.

انتشر الخبر بسرعةٍ مذهلة، أسرع حتى من الرصاص الذي دوّى في الصباح.

في غضون ساعة، كانت شاشات القنوات الإخبارية، وصفحات الإنترنت، وموجات الإذاعة، كلّها تردد العبارة ذاتها، كأن المدينة بأسرها تحولت إلى صدى واحدٍ لتلك الكلمات الغامضة.

رجال الشرطة والمحققون انتشروا في المكان كالنمل، والأسئلة تتزاحم في رؤوسهم بلا إجابات. كيف تم اختراق شبكة المدرسة المغلقة بهذه السرعة ؟ من يعرف اسم مدرسة زيمبابوي ؟ ولماذا وُجه هذا التهديد المبطّن إلى الأهالي تحديدًا ؟

وفي أروقة قسم الشرطة الرئيسي في ميامي، كان المحقق أرين يقف أمام لوحة الجرائم المعلّقة على الجدار، ينظر إليها كما لو كانت خريطة مجرّاتٍ بعيدة تتقاطع فيها المصائر والرموز.

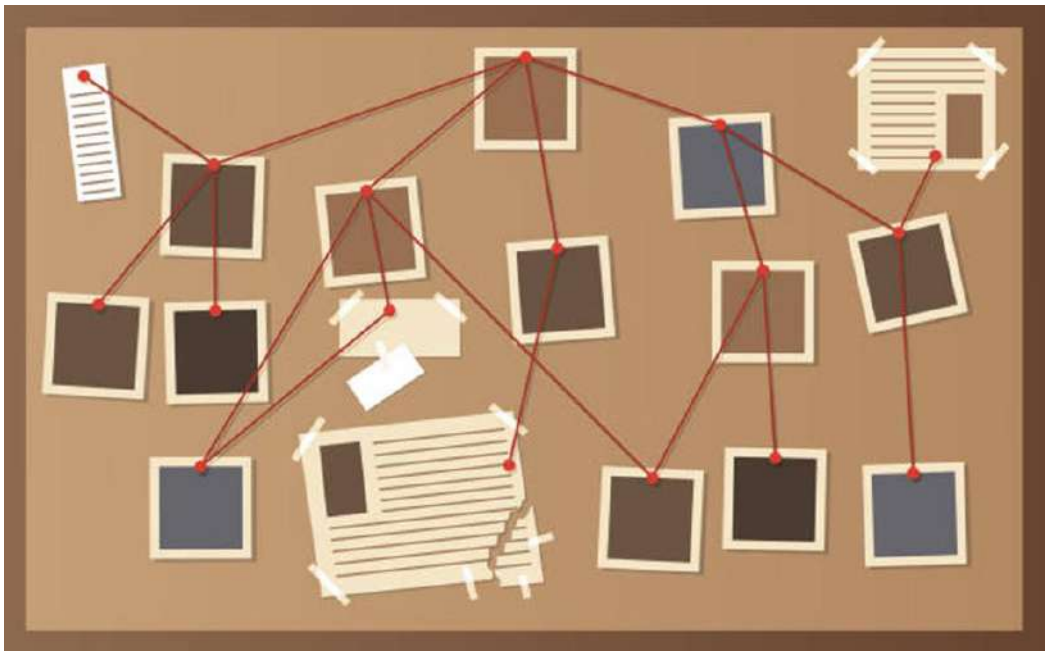

كل جريمة من الجرائم السابقة كانت تحمل عبارة، لغزًا، تلميحًا، مفتاحًا لعالمٍ مفقود، وها هو الآن يرى العبارة الجديدة

تنضم إلى السلسلة في انسجامٍ مرعب.

العبارة هذه المرة ليست عن حضارة غابرة أو هيكل أثري، بل عن مدرسة - مكان الطفولة، البراءة، المستقبل - وكأن القاتل قرّر أن ينقل رمزيته من الماضي إلى الحاضر، من الحجارة إلى اللحم الحيّ، من الأسطورة إلى الواقع.

جلس أرين إلى مكتبه، أخرج مفكرته بعناية ورتّب أفكاره.

كل شيء في هذه القضية كان يسير بخطٍ متصاعدٍ من

الجنون، لكن هذه الحادثة تحديدًا كانت نقطة التحوّل الكبرى. لم يعد الأمر مقتصرًا على ضحايا معزولين ورسائل غامضة، بل صار تهديدًا عامًا يمسّ أرواح الأبرياء.

رفع الهاتف ببطء، صوته بدا أكثر حزمًا من ذي قبل وهو يقول لمساعده باتريك :

= أريد تقريرًا عاجلًا عن ما يُسمّى مدرسة زيمبابوي... أي شيء عنها : تاريخها، موقعها، أصل الاسم، كل حرفٍ مرتبط بها ..

أغلق السماعة، ثم نظر من نافذة مكتبه إلى شوارع ميامي المضيئة بنور النهار، لكنها بدت له مظلمة أكثر من أي وقتٍ مضى.

كانت المدينة كلها تستيقظ على إحساسٍ واحد : أن الشر لم يعد يختبئ في الظلّ، بل صار يطلّ من شاشات الأطفال.

في تلك اللحظة، أدرك أرين أن اللعبة تغيّرت ... وأن

الخيوط لم تعد تُسحب من الأرض وحدها.

لم يمضِ وقت طويل حتى كان التقرير جاهزاً ، و أخذ باتريك كالعادة يتلو عليه قصة من أغرب ما يكون فسرت كل ما حدث :

(في صباح يوم الجمعة **16** سبتمبر **1994**، شهدت بلدة صغيرة تُدعى رووا (**Ruwa**) على أطراف العاصمة **هراري** في **زيمبابوي** واحدة من أكثر الحوادث غرابة في تاريخ ظاهرة الأجسام الطائرة المجهولة (**UFO**) ما يزيد الأمر غرابة أن شهود العيان لم يكونوا طيارين عسكريين ولا باحثين محترفين، بل كانوا أطفالاً في مدرسة ابتدائية، يبلغ عددهم أكثر من **60** طفلاً تتراوح أعمارهم بين **6** و **12** عاماً.

كان ذلك اليوم عادياً حتى خرج الطلاب إلى فترة الاستراحة الصباحية. وبينما كانوا يلعبون في ساحة المدرسة، لفت انتباه بعضهم وجود أضواء غريبة في السماء. دقائق قليلة مرت قبل أن يلاحظوا جسماً غريباً يهبط في منطقة مليئة بالأعشاب والشجيرات على بُعد مئات الأمتار فقط من ساحة المدرسة. وصف الأطفال الجسم بأنه معدني ولامع، يشبه طبقاً طائراً أو مركبة غريبة ، وأكد بعضهم أنه رأى فتحة تفتح في جانبه.

هنا بدأت أكثر لحظة إثارة في القصة : قال العديد من الأطفال إنهم شاهدوا مخلوقين أو أكثر يخرجون من المركبة.

أوصافهم اختلفت في التفاصيل لكنها تشابهت في الجوهر :

- طول المخلوقات يقارب طول الإنسان ..
- ذات رؤوس كبيرة، وعيون لامعة وواسعة.
- أجسادهم نحيلة، ولباسهم أشبه ببدلة سوداء ضيقة.

ما جعل الشهادة أكثر غموضاً هو أن بعض الأطفال أكدوا أنهم لم يكتفوا برؤية الكائنات، بل شعروا أنها تخاطبهم ذهنياً. قالوا إن الرسالة التي وصلتهم تمحورت حول التحذير من **تدمير البيئة** و **التكنولوجيا الخطيرة**، وهو أمر غير مألوف بالنسبة لعقول أطفال في ذلك العمر.

لم يصدق المعلمون في البداية روايات الطلاب، خاصة أن الكبار لم يروا شيئاً، لكن الإجماع شبه التام بين الأطفال جعل الأمر يستحق المتابعة. تم استدعاء الصحافة المحلية، وسرعان ما انتشر الخبر عالمياً.

أبرز من قام بدراسة الحادثة كان **البروفيسور جون ماك** ، وهو **طبيب نفسي** من **جامعة هارفارد** وحاصل على **جائزة**

بوليتزر. سافر ماك إلى زيمبابوي بعد أسابيع من الحادثة، وأجرى مقابلات مطولة مع الأطفال. لاحظ أن رواياتهم متماسكة وغير متأثرة بخيال الطفولة المعتاد، بل مليئة بتفاصيل دقيقة ومتشابهة رغم أن كل طفل كان يُسأل بشكل منفصل.

حادثة **مدرسة آرييل** في زيمبابوي تبقى حتى اليوم من أكثر الحوادث الغامضة إثارة للدهشة، لأنها تختلف عن غيرها من مشاهدات الأجسام الطائرة بكونها مرتبطة بالأطفال، الذين غالباً ما يُفترض أنهم أبعد ما يكونون عن المؤامرات والقصص المركبة. سواء كانت القصة دليلاً على زيارة كائنات فضائية أو مجرد لغز نفسي/اجتماعي لم يُفك بعد، فإنها تمثل علامة فارقة في تاريخ تقارير الـ **UFO**، وتستمر في إثارة الجدل بين الباحثين والعلماء والهواة على حد سواء)

لم يستطع أرين كتم غضبه و هو الذي عرف بين زملائه و مساعديه ببرودة الأعصاب في أصعب المواقف و أعتى الظروف ، قال بنبرة حانقة :

= ما الذي يريده هذا المختل بالضبط .. رسالته عن حقيقة وجود الفضائيين وصلت إلى كل بيت في أمريكا ، بل حتى في خارجها .. ألا يكفيه هذا ؟!

نظر إليه باتريك بشفقة من الموقف العاجز الضعيف الذي وضعه القاتل المجهول فيه :

= محق سيدي .. لكن للأسف ، لا يسعنا فعل شيء سوى الانتظار حتى نفهم من القاتل نفسه ما يريده بالضبط ، لا شك أن الأيام القادمة ستحمل تفسيراً ما ..

نهض أرين من كرسيه و أخذ يذرع الغرفة جيئةً و ذهاباً بتوتر ثم وقف أمام المرآة و نظر لانعكاسه فيها مطولاً ثم تمتم بحقد كم يعيش مونولجاً داخلياً :

= سأعرف هويتك ذات يوم .. و عندها لكل حادث حديث ..

****

في الصباح التالي كانت ميامي تغلي كمرجلٍ مفتوحٍ على فوهة الغضب والذعر، والضغط على المحقق أرين لم يعد مجرد واجبٍ مهنيّ، بل تحول إلى عبءٍ وجوديّ يثقل صدره كل ساعةٍ تمضي دون أن يمسك بطرف الخيط.

كل شيء في المدينة بدا وكأنه يتآمر على أعصابه : أصوات المراسلين من أمام مبنى الشرطة، وميض الكاميرات الذي يخترق زجاج مكتبه كالرصاص، مكالمات لا تنتهي من رؤسائه، وتصريحات متوترة من حاكم الولاية نفسه تطالبه بإحراز تقدمٍ ملموس قبل أن يتحول الخوف إلى فوضى ..

منذ حادثة المدرسة، لم يهدأ الشارع لحظة.

الأهالي يرافقون أبناءهم إلى الصفوف كمن يزج بهم إلى المجهول، والمدارس نصبت أنظمة تفتيشٍ إلكترونية في المداخل، بينما انشغلت الصحف بتحليل رسالة مدرسة

زيمبابوي وكأنها نبوءة نهايةٍ قريبة.

كل هذه الأصوات كانت تتدفق إلى عقل أرين كأمواجٍ من ضغطٍ متزايد، تتكسر على صخر صمته.

في مكتبه، جلس أمام اللوحة التي غصّت بصور الضحايا الأربع، بخطوطٍ حمراء تربط بينهم كشبكة عنكبوتٍ مريضة.

أمام كل صورة بطاقة صغيرة بخط يده : هيلين - أقراص دروبا، العجوز الثاني - كهوف تاسيلي، النحات - تماثيل أكامبارو، الفتاة القزمة - هيكل أتاكاما، وأخيرًا، بخطٍّ أكثر قسوة، كتب في الأسفل : المدرسة – زيمبابوي.

كانت الكلمات تومض أمامه كأزرارٍ تحكم بعالمٍ خفيّ، كأنها ليست مجرد رموز، بل مفاتيح لشفرةٍ عقليةٍ تتحداه في صمت.

الضباط يطرقون الباب كل عشر دقائق بتقارير عاجلة، والإعلام يتربص أمام القسم، ومواقع التواصل الاجتماعي تحوّلت إلى محكمةٍ مفتوحة تُصدر أحكامها كل دقيقة.

أرين، رغم صلابته الظاهرة، كان يدرك أن صورته بدأت تتشقق في عيون الناس، وأن الثقة التي كانت تُحيط به كدرعٍ غير مرئي بدأت تتآكل.

في تلك الليالي، كان يعود إلى منزله في ساعاتٍ متأخرةٍ لا يسمع فيها سوى صوت تنفسه المتعب، يجلس على الأريكة المظلمة بلا ضوء، ويحدّق في الفراغ كمن يحاول أن يرى عبر الظلام شيئًا أبعد من الواقع نفسه.

بدأت الشكوك تتسلل إلى داخله كدخانٍ بارد.

هل القاتل يتعمد إخضاعه، اللعب به كما يلعب الساحر بجمهوره ؟

كل جريمة كانت تترك له رسالة وكأنها محادثة غامضة بين عقلين، أحدهما في الظل والآخر في الضوء، والاثنان يعرفان أنهما يراقبان بعضهما البعض عبر مرآة مشقوقة.

حتى خطيبته ماريسا لاحظت تغيره، نظراته المعلقة في المدى، شروده أثناء حديثها، وصمته الطويل الذي لم يكن فيه سوى صدى الأسئلة كان تحليلها لشخصية المجرم السايكوباثي قد تخمّر و اكتمل ، لكنه للأسف لا يغير من الواقع و لا يساعد في الإمساك به.

في اليوم الثالث بعد حادثة المدرسة، وصل إلى مكتبه قبل الفجر. المدينة كانت لا تزال نائمة تحت ضباب البحر، لكنه شعر أن كل نوافذها تراقبه. جلس، أدار المصباح، وفتح ملف القضية بيدٍ ثابتة رغم توتر العروق في معصمه.

تمتم لنفسه بصوتٍ خافت :

= القاتل لم يقتل أطفالاً بعد ... لكنه يريد أن يجعلنا نعيش خوفهم ..

ومع ساعات الدوام الوظيفي الأولى جاءه فاكس جديد ، إبلاغ بأن وكالات الأمن الأمريكية **FBA** و **CIA** تدخلت في التحقيق و سيتم التنسيق مع مركز شرطة ميامي ..

الفصل التاسع

فالين سولي

الولايات المتحدة الأمريكية ...

ميامي ..

2036 م ..

كانت ميامي تلك الليلة غارقة في صمتٍ خانق، كأن المدينة بأسرها حبست أنفاسها بانتظار شيءٍ لا تريد أن تسمعه، ومع ذلك تسمعه في أعماقها.

ومع بزوغ فجرٍ باردٍ على غير عادته، جاء البلاغ الجديد، موجزًا حدّ القسوة :

(رجلٌ في الخمسين من عمره، وُجد ميتًا في منزله بحي ليتل ريفر، لا آثار اقتحام، لا مقاومة، لا شهود)

حين وصل أرين إلى مسرح الجريمة، كان التعب قد نقش ظلاله تحت عينيه، لكن نظراته ظلت حادّة كحدّ السكين.

في الغرفة الصغيرة التي تفوح منها رائحة دواءٍ باهت، وُجد الرجل مستلقيًا على فراشه بسلامٍ مريب، عيناه مغمضتان خلف نظاراتٍ سوداء كأنه لا يزال يحرس عماه حتى في الموت.

زوجته كانت تجلس في زاوية الغرفة، وجهها أبيض كالورق، وشفاهها ترتجف بلا صوت.

قالت بصوتٍ مبحوحٍ حين سألها أرين :

= إنه أعمى منذ عشرين عامًا ... عدت من عملي فوجدته هكذا، و آثار سكين على معصميه ، ظننته انتحر في بادئ الأمر ، لكنني أدركت لاحقاً أنهلا يمكنه قطع الرسغين معاً ..

اقترب أرين من الجسد، أزاح الغطاء بخفة، نظر حوله. لا عنف، لا عبث، لا شيء من فوضى الجرائم المعتادة.

على الطاولة الصغيرة إلى جانب السرير، كانت عصاه البيضاء موضوعة بعناية فوق ورقةٍ مطوية بإحكام.

فتحها أرين ببطء، بخوفٍ يكاد لا يُرى، ثم قرأ العبارة المكتوبة بخطٍ غريبٍ مائل :

(فالي سولي – لا تعموا أبصاركم عن الحقيقة)

رفع عينيه نحو السقف، كمن يحاول أن يرى قاتلًا يختبئ في الهواء ذاته.

باتريك، الذي وقف خلفه، تمتم بارتباك :

= فالي سولي ؟ ما معنى ذلك بحق الجحيم ؟

أجابه أرين بصوتٍ خافتٍ لا يخلو من السخرية :

= هذا ما سنكتشفه ... إن كنا ما زلنا نملك أعينًا قادرة على الرؤية..

لم يكن في المكان أي دليلٍ ملموس، ولا بصمات، ولا خيوط تُتبع.

حتى جهاز الإنذار لم يُفعَّل، والباب كان مغلقًا من الداخل.

كأن القاتل دخل كشبح ثم تبخر إلى العدم !!.

تقرير الطبيب نونيز أكد أن سبب الوفاة هو قطع شرايين الرسغين ، و الوفاة حدثت منذ أرع ساعات تقريباً ..

في اليوم التالي، ضجّ الإعلام بخبر الجريمة السادسة.

الناس لم يعودوا خائفين فقط، بل صاروا يشعرون أن ميامي نفسها تتحول إلى كابوسٍ واعٍ، أن أحدهم يختبرهم، يراقبهم، يختار ضحاياه كما يختار المخرج مشاهده بعناية.

لكن القاتل - أو من يُفترض أن يكون كذلك - لم يُظهر أي اكتراثٍ بالضجة، لا بالتحقيقات ولا بالكاميرات ولا بتصريحات الـ **FBI** التي تعهّدت بإيقاف هذا الجنون قريبًا.

بل على العكس، بدا وكأنه يتغذّى على خوف الجميع، يكتب رسائله بدمٍ باردٍ كلما ارتفع صراخ المدينة.

تدفّقت الوكالات الفيدرالية إلى ميامي : **FBI** و **CIA** و فرق تحليل السلوك الإجرامي، وجلس أرين في غرفةٍ مكتظةٍ بالشاشات والمخططات، يحدّق في الفراغ بينما يتحدث الآخرون عن نمطٍ متكرر و رسائل رمزية و قاتلٍ مهووسٍ بالماورائيات.

لكنه كان يعلم في أعماقه أن الأمر أبعد من الهوس، وأبعد من

المنطق أيضًا.

لم تسفر التحقيقات عن شيء.

لا آثار إلكترونية، لا مشتبه بهم، لا تقاطعات بين الضحايا سوى رمزية الكلمات التي تركها القاتل.

ومع حلول المساء، وصل تقرير فالي سولي، ليزيد الطين غموضًا :

(في صيف عام **1994**، شهدت إحدى المناطق النائية في **المكسيك**، وتحديدًا **قرية رانشو بالو** الصغيرة، سلسلة من الأحداث الغريبة التي لا تزال حاضرة في ذاكرة السكان حتى اليوم. كانت الأجواء صيفية دافئة، والليل يسدل ستاره على الحقول والجبال المحيطة، عندما بدأ السكان يسمعون أصواتًا غير مألوفة، تشبه همسات الرياح ولكنها أقوى وأشد انتظامًا، وكأن شيئًا ما يتحرك على مقربة من الأرض.

خوان مارتينيز، فلاح محلي في أواخر الثلاثينيات من عمره، كان أول من لاحظ أن هناك شيئًا غريبًا يحدث. حسب

روايته، فقد شاهد أضواءً متقطعة تحوم فوق الحقول، وتصدر وهجًا غريبًا أزرق اللون، وكأنها لا تنتمي لعالمنا. لم يكن وحيدًا، فقد انضم إليه جاره **ميغيل غارسيا**، الذي لاحظ ظهور كائنات صغيرة، لا يتجاوز طول الواحدة منها مترًا واحدًا، ترتدي ألبسة معدنية عاكسة للضوء.

حسب شهادات السكان، توقفت الكائنات فجأة أمام مجموعة من الفلاحين، وبدأت تتحرك بطريقة منظمة وكأنها تراقبهم عن قرب. لم يُسجل أي صوت يصدر منها، لكن بعض الحاضرين أكدوا أنهم شعروا بنقل الأفكار مباشرة إلى عقولهم ، وهو ما وصفه البعض بأنه تواصل ذهني غير مألوف.

الأحداث الغريبة لم تتوقف عند هذا الحد. في صباح اليوم التالي، اكتشف الفلاحون آثارًا غريبة على الأرض، دائرية

الشكل ومتعرجة، مع علامات حرق طفيفة على النباتات المحيطة. بالإضافة إلى ذلك، لاحظ بعضهم أضرارًا صغيرة في معداتهم الزراعية، وكأن شيئًا معدنيًا ثقيلًا مرّ بسرعة عبر المكان.

تدخلت وسائل الإعلام المحلية لتوثيق الحادثة، حيث أجرى الصحفي **كارلوس ميندوزا** مقابلات مع عدد من الشهود، مؤكدًا أن قصتهم كانت متطابقة تقريبًا، رغم اختلاف تفاصيل المشهد بين شخص وآخر. بدأ العلماء والمحققون المحليون بتحليل الأرض، لكنهم لم يجدوا أي تفسير منطقي، ولم تظهر أي آثار لمركبة مألوفة أو تكنولوجيا بشرية.

أثارت حادثة رانشو بالو جدلاً واسعًا في المكسيك والعالم، وأصبحت من بين أبرز حوادث ظهور الكائنات الفضائية في التسعينيات. أدرجت في سجلات منظمة **UFO Research Mexico**، التي وصفتها بأنها حالة اختطاف جماعي غامض لم يُسجل له سابقًا في المنطقة ..

رغم مرور السنوات، بقيت الحادثة لغزًا حيًا، وأصبحت موضوع نقاش مستمر بين علماء الظواهر الغامضة والهواة على حد سواء. بالنسبة للسكان المحليين، فهي ذكرى مشحونة بالرهبة والإثارة، تذكرهم دائمًا بأن هناك ما هو أبعد من عالمهم اليومي، وأن الكون قد يحمل أكثر مما يمكن للبشر استيعابه)

حين انتهى باتريك من قراءة التقرير، ظل أرين صامتًا لثوانٍ طويلة، ثم قال بصوتٍ منخفضٍ كأنه يخاطب نفسه :

= كأن الحقيقة تحاول أن تُبصر وسط عمى البشر !

لم يرد باتريك.

المدينة في الخارج كانت تغرق في أضواء سيارات الشرطة، بينما في الداخل، جلس أرين أمام اللوحة التي صارت كمرآةٍ للعجز، وقد فهم في تلك اللحظة أن القاتل لا يهرب من العدالة فحسب، بل يجرّها خلفه إلى عالمٍ لا يخضع لقوانين البشر.

****

كان المساء قد أرخى ستاره فوق ميامي، تلك الواجهة البحرية التي اعتادت أن تبتسم للزوار، لكنها في تلك الليلة بدت متعبةً، تحاول أن تمسح بيدها الغليظة على جبين المدينة لتطرد عنها التعب. جلست ماريسا في مقهى صغير تطل نوافذه على شاطئ الخليج ، وصرير كرسيّ خشبي مجاور يقطع الصمت الثقيل المخيم على الأجواء.

دخل أرين بعنف وألقى معطفه على الكرسي كما يلقي رجلٌ سلاحَه بعد معركة قصيرة. كانت ملامح وجهه مشدودةً، العينان حادتان كأنهما تتعرّيان من الزمن، وكتفاه منحنيان تحت ثقل ما لا يسمى. نظرت إليه ماريسا، لم تنطق فوراً؛ عيناها قرأتا خريطة تعبٍ في خطوط وجهه، فمدّت يدها وحضرّت كوب ماء بصمت، وكأن الماء وحده ممكن أن يرد له نبضة إنسانية.

قال أرين بلهجةٍ فيها ما يشبه الاستسلام :

= كلّما اقتربتُ، زاد ابتعاده. كلّما ظننت أننا قرّبنا الخيط، تركه يتلوّى وكأنه يستفزنا. الآن صار الأمر شخصياً، ماريسا. ليست فقط جرائمه ما يزعج ؛ لقد جعل المدينة تتلوّن بخوفها، وصار الناس ينظرون إليّ وحدي كمن عليه أن يُخمد النار بيدٍ عارية.

ابتسمت ماريسا بابتسامةٍ هادئة، لم يكن فيها ضحكٌ بل يقظةُ طبيبةٍ تعرف لغة الخوف. أمسكت بيد أرين بلمسةٍ رقيقة وقالت :

= أنت لا تحمِل عبء الحل وحدك، أرين. لكنني أسمع في كلامك شيئاً آخر ... خطؤك أنك تراهن دائماً على ردّ فعلٍ. القاتل يستلذ بالهرج و المرج الذي يحدثه ، يريد أن يُرى وهو يكتب رسالته. تلك هي قوّته : العرض.

نظر إليها، وكان في صوته ارتعاش متعب :

= ماذا تقترحين إذن ؟ أن نضاعف الأضواء ؟ أن نعرض له مشهداً أكبر ليزداد شراهة ؟

قالت بهدوء مهني :

= لا ، أعني أن نغيّر القواعد : بدلاً من أن نطارده نحن كظلال في المدن، لماذا لا نجرّه إلى ملعبنا ؟ ليس بمطاردةٍ معقدة، بل بتحدٍّ ذكي. أنت تعرفه : يترك رسائل لأنه يريد أن يحوّل الموت إلى لغة. فليأتِ إلى المكان الذي نتحكّم فيه ،

إلى حيث تتجمّع العيون الرسمية.

حدّق أرين بها، مفكّراً في الأحجية التي تقول أنّ الجنون لا يقاوم إطراء النفس. فسألها بارتباك و حيرة :

= وكيف نجذبه دون أن نصبح مثار سخرية أمامه و أمام الجمهور؟

أجابت ماريسا، وبصوتها المتأني كانت تخيط فكرةً ذكية :

= نحن لا نطلب منه أن يقتل، بل أن يردّ على استفزازنا له. أعلِن بشكل رسمي عبر بيانٍ من الشرطة أنكم تتحدونه أن يترك دليلاً ملموساً على وجوده الفعلي بين أفراد الشرطة ، إن كان فضائياً بحق أو على الأقل رسول الفضائيين إلى الأرض فلن يصعب عليه فعل ذلك ..

صمتت ماريسا لبرهة، ثم أضافت بصفتها الطبيبة :

= هذا ليس فخاً لإيذاء أحد، بل طُعمٌ يختبر ردة فعله أمام هيئةٍ رسمية، وبين عيونٍ كثيرة. المنطق هنا نفسي بحت :

المهووسون بهذا النوع من المعنى لا يطيقون رؤية أحد يشكك بهويتهم .. سيشعر بالغضب أو بالتحدّي. وسنكون نحن هناك، مع شهادات وعيون وأجهزة، لنرى ردّة فعله.

التقط أرين أنفاسه، و صمت للحظات يقلّب اقتراح ماريسا من كل الجوانب ، فلم يجد ضيراً منه ، إنه على الأقل خيرٌ من عدم فعل أي شيء سوى انتظار الضربة التالية للقاتل ، إنها لعبة لغةٍ و مكر، لعبةٌ تعزف على دوافع البشر حين يمتزج الخطر بالمجد :

= فكرة جيدة. مخاطرة، لكنها ذكية. سنحوّل الساحة إلى مرآةٍ له، ونرى إن كان سيفقد حذره أمام غروره و يقع في الفخ .

ارتسمت على وجه ماريسا هالة من الرضاٍ .. أمسكت بكفّه بإحكامٍ خافت، وقالت :

= اذهب على الفور عزيزي .. انصب فخك لغروره بإتقان . نريد أن نخيط له مشهداً بحيث يكشف ذاته بنفسه. هذه فرصتنا لنرى الوجوه الحقيقية تحت الأقنعة.

نهض أرين من مقعده و أمسك بمعطفه ، ملامحه تحولت من مشقة التعب و الاستسلام إلى وهج التحدي و التفاؤل.

= سأبلغ القيادة، سأضع الاقتراح بصيغة رسمية. و إن لزم، سنطلب مشورة قانونية و نفسية أيضاً .. أشكرك على عونك الكبير لي في كل الظروف ..

غادر بهدوء فيما جلست ماريسا تراقبه و هو يختفي في

أحشاء الظلام ، تمتمت فيما يشبه الدعاء و الرجاء :

= كن حذراً، يا أرين. لا تجعل التحدّي يجعلكما جسراً يسقط تحته الناس.

الفصل العاشر

طائفة أبيدوس

الولايات المتحدة الأمريكية ...

أيوا ..

2036 م ..

كانت أمريكا كلّها تغلي بالأسئلة حين خرج إلى العلن اسم جديد قلب المشهد الفكري والإعلامي رأسًا على عقب. إنه **ناثانيال كورن**، الباحث الأميركي ذو الخمسة والستين عامًا، صاحب الوجه الصارم والملامح التي تجمع بين الحكمة والغموض، بعينين رماديتين لا تُقرآن بسهولة وصوتٍ عميقٍ كأنه صادر من مكانٍ أقدم من جسده. كان قد اشتهر منذ سنواتٍ بمحاضراته الغريبة التي تمزج بين علم الفلك، وعلم الإنسان، ونظريات المؤامرة، لكنه لم يلقَ من الشهرة ما ناله إلا بعد أن اهتزّت ميامي بسلسلة الجرائم الغامضة التي هزّت المجتمع.

في خضمّ تلك الفوضى التي لم يجد لها أحد تفسيرًا، ظهر كورن على شاشات التلفاز في بثٍّ مباشرٍ طويل امتدّ لساعتين. تحدّث فيه عن علاقةٍ خفية بين الآخرين - كما سمّاهم - وبين تطوّر الإنسان عبر التاريخ، وأن الحضارات القديمة لم تكن يومًا من صنع البشر وحدهم. ومنذ تلك الليلة، بدأت الفكرة التي كانت مجرّد أطروحة باهتة تتحوّل إلى حركة روحية جديدة. أعلن كورن تأسيس ما أسماه **طائفة أبيدوس**، مستوحاة من المدينة المصرية القديمة التي كانت

رمزًا للموت والبعث و احتوت على أغرب اكتشاف أثري متعلق بالفضائيين و هو خرطوشتها العجيبة التي تحمل نقوشاً لأطباق طائرة ، كما جعل شعارها عين حورس يتقاطع معها وجه كائن فضائي، في توليفةٍ بين الميثولوجيا الفرعونية والخيال الكوني.

لكن كورن كان حذرًا في خطابه، لا يريد أن يبدو كداعيةٍ غريب الأطوار ولا كزعيم جماعة خارجة عن القانون. قال لجمهوره : (لسنا طائفةً، نحن وعي جديد)، ومع ذلك، لم يكن أحد مخدوعًا تمامًا. فأبيدوس كانت، شئنا أم أبينا، حركةً دينية – فكرية بكل معنى الكلمة، لها طقوسها، وشعاراتها، ومؤمنوها الأوائل الذين أقسموا **بأن الفضائيين هم سادة الكون الحقيقيون، وأنهم سيعودون قريبًا ليعيدوا الأرض إلى نظامٍ كوني أكثر عدلاً وانسجامًا.**

لم تبرر أبيدوس الجرائم التي أرعبت ميامي، بل على العكس، استثمرت في الفراغ النفسي والفكري الذي خلّفته. كانت الجرائم حديث الناس، والكل يبحث عن معنى، عن رابطٍ بين الرسائل الغريبة والأماكن الأثرية التي ذُكرت فيها. وهنا، وجد كورن ضالّته : **لقد صار العالم مهيّأً لتلقّي فكرته.** فالمجتمع الذي يتخبط بين الخوف من القاتل والغموض الكوني، كان في أمسّ الحاجة إلى من يمنحه تفسيرًا جديدًا للعالم.

خلال أسابيع قليلة، تحوّلت «أبيدوس» من فكرةٍ إلى ظاهرة. افتتح كورن مركزه الرئيسي في ولاية أيوا، في مجمعٍ صغير يضم قاعة تأملٍ ضخمة ومكتبة زجاجية تُضاء باللون الأزرق في الليل، كأنها منارة من عالم آخر. ثم بدأت الفروع تظهر تباعًا في ولاياتٍ أخرى : كاليفورنيا، أوريغون، نيفادا، وصولًا إلى نيويورك. انتشر شعار الطائفة و رموزها بسرعةٍ لافتة على الأوشام، وعلى القمصان، وعلى ملصقات السيارات.

كانت محاضرات كورن تبثّ مباشرة عبر الإنترنت، تحصد ملايين المشاهدات خلال ساعات. وكان الإعلام المهووس بكل ما هو غريب يجد في الرجل مادةً مثالية للنقاش والجدل. فبينما كانت الشرطة تبحث عن قاتلٍ يترك رسائل تتحدث عن كهوفٍ وتماثيل وأقراصٍ غامضة، كان كورن يقدّم تفسيرًا «كونيًا» يربط بين تلك الرموز وحضاراتٍ قديمة تلقّت رسائل من الزائرين كما يصفهم. لم يقل إنه يبرر الجرائم، لكنه ألقى بذرةً جعلت الناس يتساءلون: وماذا لو كان القاتل

مجرد رسولٍ من عالمٍ آخر؟

تغذت شهرة أبيدوس من العطش العام إلى الإجابات، ومن رواج القصص الماورائية في الإعلام، ومن هشاشة اليقين في زمنٍ تتكاثر فيه الشائعات كالفطر. ووسط موجة القلق تلك، برزت ديانات وحركات أخرى قديمة وجديدة تؤمن بالشيء ذاته.

ففي اليابان، أعادت طائفة **أوم شينريكيو** التي عُرفت في التسعينات خطابها القديم عن الآلهة الهابطة من النجوم ، مستفيدة من الأجواء الجديدة.

وفي فرنسا، عاد اسم **الرائيليون** للظهور بعد أن أصدر زعيمهم الجديد بيانًا يشيد بشجاعة أبيدوس في إعادة الوعي الكوني إلى الأرض ..

وفي كندا، نشأت جماعة أصغر تُدعى **نور أندروميدا**، تجمع بين التأمل البوذي والإيمان بأن أرواح الفضائيين تسكن بين البشر لتساعدهم على عبور الطور الرابع من الوعي ..

لكن أياً من تلك الحركات لم يحقق الزخم الذي حازته أبيدوس. فقد امتلكت شيئًا يفتقر إليه الجميع : الرمزية الحيّة. كانت الجرائم، على الرغم من بشاعتها، بمثابة النار التي صهرت الفكرة وجعلتها لامعةً وجاهزة للتداول. ومع كل حادثةٍ جديدة، كان عدد المنتسبين إلى الحركة يتضاعف. لم يكن الناس يؤمنون بأن القاتل رسولٌ لأبيدوس، بل كانوا يرون فيه «علامة»، دليلاً على أن شيئًا أكبر يحدث خلف ستار العالم المادي .. حتى أن الحكومة شكت بضلوعها بالجرائم ، لكن التحقيقات لم تثمر عن شيء ، فقط حركة جديدة تركب موجة الأحداث لا أكثر ..

وخلال أشهرٍ قليلة، غزت رموز الطائفة العالم بأسره. على الإنترنت، في الإعلانات، في الموسيقى، في الاحتفالات

الثقافية، وحتى في بعض البرامج التلفزيونية التي بدأت تتحدث عن الفجر الكوني القادم. لم تعد أبيدوس حركةً محلية، بل حالة فكرية جماعية تجتاح العقول بين الخوف والانبهار. في المدن الأوروبية الكبرى، كانت تنظم فعاليات تتحدث عن (الاتحاد بين الأرض والسماء) ، وفي أمريكا اللاتينية ظهرت مهرجانات صغيرة يرقص فيها الشباب تحت راياتٍ تحمل عين حورس المتألقة بنجمةٍ فضية في وسطها.

أصبحت أبيدوس رمزًا لعصرٍ جديد من الارتباك الروحي. لم تكن تدعو للعنف، لكنها ازدهرت بفضله، كما تزدهر الطفيليات على الجرح المفتوح. وبدت كلمات كورن، التي بدأ يلقيها من منصةٍ زجاجية ضخمة في قاعة مركزه، كأنها ترنيمة عصرية :

(نحن لسنا أبناء الصدفة، بل ضيوف مؤقتون على أرضٍ استعارتنا من مجرةٍ أرحب. حين يستيقظ الوعي الكوني، ستفهمون أن الحقيقة لا تُكتشف ... بل تُستدعى)

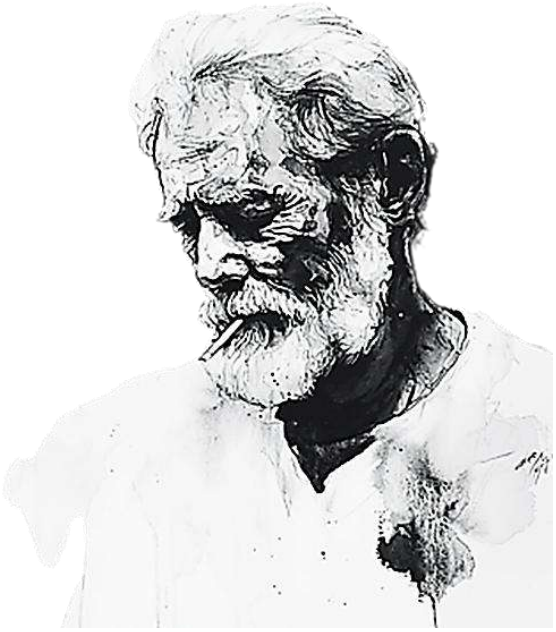

ومع اتساع رقعة الحركة، راحت السلطات الأمريكية تراقبها عن كثب، تخشى أن تتحول إلى ظاهرةٍ خارجةٍ عن السيطرة، خاصة بعد أن بدأت بعض المدارس والجامعات تشهد نقاشاتٍ محتدمة بين من يرون فيها خلاصًا فكريًا، ومن يعدّونها تهديدًا للعقل الإنساني نفسه. ومع ذلك، كانت أبيدوس تتقدم بثبات، تفتح أبوابها لكل من أنهكه الشكّ وأرهقته الأسئلة التي لم تعد الفلسفة أو الدين التقليدي قادريْن على الإجابة عنها.

في النهاية، لم تُعرف أبيدوس بأنها حركة للجنون أو للعنف، بل كمرآةٍ للزمن نفسه : زمنٍ تتداخل فيه المعتقدات بالحقائق، والعلم بالأسطورة، والقلق بالرجاء. ربما لم تكن الطائفة هي من صنعت الجرائم، بل كانت الجرائم هي التي أنضجت الطائفة ، صنعت حولها ضبابًا مقدسًا لا يُرى من خلاله أين ينتهي الواقع وأين يبدأ الإيمان.

في إحدى الليالي، كان أرين و ماريسا يمشيان في الطرقات تحت زخات المطر التي تنهمر على مظلتهما ، وعيناه تحدقان في الأفق المظلم كأنما يحاول أن يجد فيه تفسيرًا لهذا الطوفان الجنوني الذي اجتاح عقول الناس. إلى جانبه كانت ماريسا، تحدّق فيه بهدوءٍ حزين وهي تدرك تمامًا أن ما يعيشه ليس مجرد قضية، بل صراع داخلي بين العقل والفوضى. قالت بعد لحظة صمتٍ ثقيل :

= أتعرف يا أرين، لا عجب أن تنتشر طائفة أبيدوس بهذه

السرعة، فالأمر أعمق من مجرد دعوة دينية غريبة أو شعار غامض. النفوس يا عزيزي جوعى، عطشى للأجوبة التي لم تجدها في العلم ولا في الدين ولا في الحياة الحديثة التي أنهكتها بالأسئلة دون أن تمنحها يقينًا واحدًا. الفضول والمجهول أتعبا الناس حتى غدت عقولهم كأرضٍ قاحلة تنتظر أول نبتة، حتى لو كانت نبتة وهمٍ أو خوفٍ مموّه بالأمل ..

كانت كلماتها تنساب بنبرة الهدوء الذي يسبق العاصفة، بينما هو ينصت إليها كطالبٍ أمام أستاذةٍ تعرف ما لا يعرفه.
تابعت :

= انظر حولك، العالم كله يعيش على الحافة. التقدم العلمي فتح أبوابًا لم يكن يجب أن تُفتح، والناس لم يعودوا يفهمون ما يجري. صاروا يشعرون بأنهم صغار أمام الكون، وأن هناك قوى أعظم منهم تتحكم في مصيرهم. حين جاءت الجرائم الغريبة وارتبطت بأحاديث عن الفضائيين والرموز القديمة،

لم تعد المسألة عنفًا أو جنونًا فقط، بل أصبحت وعدًا بإجابةٍ منتظرة :

- من نحن ؟
- - ومن يراقبنا ؟
- ولماذا يحدث كل هذا ؟

أشاحت ماريسا بنظرها نحو المدينة المضيئة وقالت بصوتٍ عميق :

= وهناك شيء آخر، أخطر وأغرب ، ما يحدث ليس مجرد فضول، بل ما يشبه **متلازمة ستوكهولم جماعية**. الناس خافوا من فكرة الفضائيين، من احتمال وجود قوة غامضة تقتل وتراقب وتعبث، ومع ذلك - بدلاً من مقاومتها - بدؤوا يدافعون عنها، يتقربون منها، وينتسبون إليها. إنهم يريدون تصديق أن القاتل ليس مجرمًا، بل رسولًا. أن هؤلاء الكائنات ليست خطرًا، بل خلاصًا. إنها آلية دفاع نفسية معقدة، فالعقل البشري حين يعجز عن مواجهة الخوف، يبدأ بتبريره، بل وتقديسه ..

كانت كلماتها تصيب أرين كرصاصٍ من وعيٍ جديد. أدرك أن ما يواجهه لم يعد جريمة متسلسلة ولا قاتلًا متخفيًا، بل وباءً نفسيًا اجتاح العقول، وأن المواجهة باتت تتجاوز الطب الشرعي والتحقيقات، لتصل إلى ما هو أعمق : روح الإنسان حين يختار أن يؤمن بالخطر كي لا يشعر بالعجز أمامه.

ابتسمت ماريسا ابتسامة حزينة وقالت أخيرًا :

= لهذا يا أرين، لن تجد القاتل بسهولة ... لأنك لا تبحث عن شخصٍ واحد، بل عن فكرةٍ احتضنتها عقول الملايين ..

الفصل الحادي عشر

لغم روزويل

الولايات المتحدة الأمريكية ...

واشنطن العاصمة ..

2036 م ..

في صباحٍ رماديٍّ يكسوه الترقّب، اجتمع أرين مع كبار مسؤولي الأمن في البلاد داخل قاعة الاجتماعات المحصّنة في مقرّ وزارة العدل. كانت الوجوه متعبة، والعيون تائهة بين الشاشات والملفّات المكدّسة، فقد تحوّلت القضية إلى همٍّ قوميٍّ يهدّد ثقة الناس في مؤسسات الدولة. بعد سلسلة طويلة من النقاشات العقيمة، نهض أرين بثباتٍ، وقال بصوتٍ يحمل من الإصرار أكثر مما يحمل من الرجاء :

= لن نمسك بالقاتل بالطريقة المعتادة ... يجب أن نغيّر قواعد اللعبة. القاتل لا يهرب من الضوء، بل ينجذب إليه. إنه يحتاج أن يُرى، أن يشعر بأنه متفوّق، كأنه يلعب معنا لعبة ذكاءٍ كونية ..

ساد صمتٌ مهيب في القاعة، تبادل الحاضرون النظرات بين الدهشة والخشية، فاقتراح أرين كان أقرب إلى المغامرة منه إلى الخطة الأمنية. تابع قائلاً :

= إذا أراد أن يثبت أنه رسول من عوالم أخرى، فلنمنحه المسرح. سندعوه علنًا، ونتحدّاه أمام الناس أن يضع دليلاً في قلب الشرطة نفسها إن كان حقًّا كما يزعم. حينها، سيضطر إلى التحرك مدفوعاً بغروره ... وسيترك أثرًا، أيًّا كان ..

لم يكن أحد يجرؤ على طرح مثل هذه الفكرة من قبل، لكن الضغط الشعبي والسياسي جعل الحكومة ترى فيها بصيص أملٍ ولو كان مجنونًا. وبعد مشاورات طويلة، اقتنع مجلس الأمن القومي بالخطة، وصدر بيان رسميٌّ بثّته كبرى القنوات الإخبارية في الولايات المتحدة، يقول فيه المتحدث باسم الحكومة بنبرةٍ محسوبة :

(إلى من يدّعي أنه رسولٌ من عوالمٍ أخرى، وإلى من يترك رموزه الغامضة في مسارح جرائمه، ندعوك إلى إثبات قوّتك إن كنت حقًّا ما تزعم. اقترب منّا، من قلب مؤسساتنا، ودعنا نرى بأعيننا قدرتك التي تتحدّث عنها. نحن نمنحك الفرصة لتبرهن على ما تؤمن به أنت ومَن يتبعك)

تحوّل البيان خلال ساعاتٍ إلى حديث الساعة. البرامج الحوارية اشتعلت، مواقع التواصل امتلأت بالنقاشات، البعض رأى في الخطة خطوة ذكية للإيقاع بالمجرم، وآخرون اعتبروها مخاطرةً كبرى تُهين هيبة الدولة. ومع ذلك، بدا كأن الحكومة استردّت جزءًا من زمام المبادرة... على الأقلّ حتى تلك الليلة.

ففي مساء اليوم التالي مباشرة، وبينما كانت فرق الأمن تستعد لأي تحرّك، حدث ما لم يكن في الحسبان. انطفأت فجأة أنظمة الإنذار في مبنى وكالة الاستخبارات المركزية، تبعتها شاشات مكتب التحقيقات الفيدرالي التي غمرها ضوءٌ أبيض غريب قبل أن تتحوّل إلى خلفية سوداء تحمل جملةً واحدة :

(حادثة روزويل - عندما تشارك الحكومات في تكميم فم الحقيقة)

لم يستغرق الأمر سوى ثوانٍ حتى انتشرت الفوضى. أصيب الموظفون بالذهول، هرع الخبراء في الأمن السيبراني لمحاولة استعادة السيطرة، لكن الاختراق كان عميقًا ودقيقًا على نحوٍ مذهل. لم يُسجّل أي دخول ماديٍّ إلى الأنظمة، لم تُكتشف أيّ ثغرة تقليدية، وكأن من اخترق الشبكة كان يعرفها من الداخل معرفةً خارقة للطبيعة.

وقف أرين أمام الشاشات مصعوقًا. لم يكن يعلم ما الذي يثير فيه الرعب أكثر : الرسالة نفسها، أم الطريقة التي وصلت بها. الكلمات لم تكن عشوائية، بل مدروسة بدقّة قاتلة. حادثة روزويل لم تكن غريبة عن الوعي الأمريكي، فهي أشهر قضية تتعلق بالفضائيين في التاريخ : (ففي العام **1947** و بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بعامين ، سقط على مدينة **روزويل** (إحدى مدن ولاية نيو مكسيكو الأمريكية) جسمٌ غريبٌ أثار ضجةً مروعةً أدت إلى الذعر وسط الأهالي .. وبعد دقائق معدودة، كانت وحدات الجيش الأمريكي تنتشر في المدينة، وتحولها إلى ثكنة عسكرية بكل معنى الكلمة، ثم فرضت حظراً للتجوال على الأهالي، كما أصدر الجيش تعليمات مشددة بأنه سوف يطلق النار مباشرةً على أي مواطن يخرق حظر التجوال دون أي تحذيرات مسبقة.. فلماذا هذا التشدد المفرط تجاه تلك الحادثة ؟!

الحكومة الأمريكية قامت بالتعتيم على جميع الأخبار حول هذا الجسم، وفرضت سرية مطلقة عليه وتعاملت معه على مدى عشرات السنين باعتباره مجرد (منطاد لدراسة الطقس تعرض لحادثة)، إلى أن تم الكشف تدريجياً بواسطة صحفيين استقصائيين أكفاء عن أن ما سقط على روزويل كان **طبقاً طائراً يحتوي على بعض الجثث الغريبة لمخلوقات غير أرضية** .. التزمت الحكومات الأمريكية الصمت في وجه هذه الادعاءات ، إلى أن جاءت اللحظة التي قلبت كل الأمور رأساً على عقب، وتم الكشف عن شريط فيديو يسجل عملية تشريح إحدى هذه المخلوقات الفضائية، في منتصف التسعينيات من القرن الماضي، قام بتسريبه طيار أمريكي متقاعد ..

بعد الكشف عن هذا الشريط وإعلان خبراء من شركة كوداك أن المادة الفيلمية للشريط تعود فعلًا إلى الأربعينيات، والاستعانة بخبراء من هوليوود أكدوا صعوبة وجود خدع سينمائية في هذا الشريط القديم.. قامت الدنيا ولم تقعد في الولايات المتحدة، وانهال الرأي العام كله بالنقد القاسي على

الحكومة الأمريكية، لدرجة أن الرئيس الأمريكي وقتها (**بيل كلينتون**) كان في زيارة رسمية لإيرلندا الشمالية، وتحدث إلى الشعب الأمريكي حول هذا الموضوع قائلاً :

{ على حد علمي، لم تصطدم سفن فضائية بمدينة روزويل في العام 1947، ولو كان هذا قد حدث بالفعل، وأن القوات الجوية احتفظت بجثث للمخلوقات الفضائية.. فإنهم لم يطلعوني على الأمر إطلاقاً }

واستمر نفي الحكومات الأمريكية و التزامها بالصمت المطبق حتى يومنا هذا.. على الرغم من خروج عدد من علماء الفضاء الأمريكيين مثل (**كارل ساجان**) ، الذي قال إن ما سقط على روزويل كان بالفعل طبقاً طائراً فضائياً ، و أن الحكومة الأمريكية قامت بالتعتيم الكامل على هذا الموضوع لأنه ساهم بقدر هائل في دفع التكنولوجيا والتطور الصناعي الأمريكي، لما يملكه هؤلاء الفضائيون من تقنيات حديثة للغاية كانت وقتئذ غير مسبوقة لأي بلد في العالم !!)

تجمّد المسؤولون في أماكنهم، وأخذت وسائل الإعلام تبثّ الخبر العاجل كما لو أنّها تبثّ إعلان نهاية العالم. كانت الصدمة أكبر مما توقّع أيّ أحد، ليس لأن القاتل تحدّى الحكومة بجملة تتهمها بالدليل أنها تخفي الحقيقة ، بل لأنّه فعلها ببراعة لا يمكن تفسيرها. من ذا الذي يجرؤ على اختراق **FBI** و **CIA** في وقتٍ واحد، وبهذا الهدوء البارد ؟

في تلك اللحظة أدرك أرين أن اللعبة خرجت من حدود المنطق، وأن ما يواجهه لم يعد مجرد قاتلٍ من لحمٍ ودم، بل ظلّ لعقلٍ يعرف كيف يحوّل الخوف إلى إيمان، والفوضى إلى رسالة.

كانت البلاد كلها ترتجف، والحقيقة - كما قال المجرم - بدأت فعلاً تنمو في الظل.

ساد الصمت أروقة العاصمة الأمريكية كما لم يسدها من قبل، صمتٌ ثقيل كأنه سحابة رمادٍ تغطي وجوه المسؤولين وتخنق أنفاس المدينة. بعد الاختراق المذهل لأنظمة **FBI** و **CIA** ، غرقت الحكومة في حالة ذهولٍ جماعي، لا أحد يتحدث بصوتٍ مرتفع، ولا أحد يجرؤ على النظر في عيون الآخر. كانت الشاشات ما تزال تعرض بقايا الرسالة المخيفة، ذلك السطر الذي أهان هيبة الدولة أمام العالم : (**حادثة روزويل - عندما تشارك الحكومات في تكميم فم الحقيقة**)

جلس الوزراء في مكاتبهم كمن خسر حرباً لا يعرف متى بدأت. الاجتماعات الطارئة تتوالى، والوجوه تتبدل كل ساعة، لكن لا شيء يُثمر سوى المزيد من الحيرة. الرئيس نفسه بدا كأنه شاخ في ليلةٍ واحدة، ووزير الأمن القومي جلس صامتاً وهو يحدّق في الفراغ، غير قادرٍ على تفسير ما حدث. تقارير الأمن السيبراني أكدت أن الهجوم لم يترك أثراً رقمياً، وأنّ المنفذ لم يكن بشرياً وفق كل المقاييس المعروفة ، حتى العبارة الأخيرة في تقرير الخبراء كانت أشبه باستسلام رسمي :

(ما واجهناه يتجاوز قدراتنا التكنولوجية الحالية، وربما قدرات أي دولة على الأرض)

و بينما كانت مؤسسات الدولة تنزف ثقتها بنفسها، كانت النار تنتشر في الخارج بسرعةٍ تفوق الخيال. الشعب الذي كان يترقب بحذر تحركات القاتل بدأ يفسّر ما حدث بطريقته. لم يعد الأمر بالنسبة لكثيرين مجرد سلسلة جرائم، بل رسائل سماوية من عقولٍ أرقى. في المنتديات، وعلى مواقع التواصل، وفي نشرات الأخبار الليلية، بدأ اسم (طائفة أبيدوس) يعلو ويزدهر، مثل نبتةٍ شيطانية وجدت في تربة الفوضى غذاءها المثالي.

أصبحت الطائفة التي أسسها **ناثانيال كورن** فجأة رمزاً للمعرفة السرية التي تعجز عنها الحكومات. مقاطع الفيديو التي تشرح فلسفتها صارت تترنداً يتصدّر محركات البحث، وشعارها - عين حورس المتداخلة مع وجه كائنٍ فضائي -

يُرسم على الجدران، يُطبع على القمصان، ويُرفع في المظاهرات. في إحدى الليالي، بثّت قناة إخبارية تقريراً يُظهر حشوداً من الناس في نيويورك ولوس أنجلوس و أريزونا و مينوسوتا و أيوا نفسها، يرفعون اللافتات هاتفين :

(الفضائيون معنا، والحكومة تخفي الحقيقة كما فعلت من قبل)

كان المشهد جنونياً، إذ بدا كأنّ الشعب فقد ثقته في مؤسساته تماماً. ازداد عدد المنتسبين إلى الطائفة بأضعافٍ في أيامٍ قليلة، بل وصل صداها إلى أوروبا وآسيا وأستراليا و أمريكا اللاتينية. ظهر ناثانيال كورن على الإنترنت متوشحاً برداء أسود، وقال بصوتٍ مهيب في بثٍّ مباشر تابعه الملايين :

(لقد حاولوا إسكات الحقيقة منذ روزويل، لكن الحقيقة لا تموت، إنها تنمو. أبيدوس ليست ديناً، بل بوابة الفهم لما وراءكم)

كان لتلك الكلمات أثر السحر، إذ شعر الناس أنهم أخيراً وجدوا من يجيب على أسئلتهم القديمة. في المقابل، كانت

الحكومة تشعر أنها تنهار من الداخل. أجهزة المخابرات فقدت مصداقيتها، وزارة الدفاع عاجزة عن تقديم تفسير، الصحف تصف ما حدث بالزلزال السيبراني الأعظم ، ومراكز الدراسات الأمنية بدأت تحذر من تحوّل الإيمان بالفضائيين إلى تيارٍ عالمي يهدد الاستقرار العقائدي والسياسي في الغرب كله.

أما أرين، فكان يراقب كل ذلك بعينٍ مثقلة بالمرارة. لقد تحوّل من مطاردٍ لقاتلٍ واحد إلى شاهدٍ على انهيار نظامٍ كامل.

كانت البلاد بأسرها تدخل مرحلةً جديدة من الجنون المنظّم، حيث صار الخوف ديناً، والشك يقيناً، والقاتل المجهول بطلاً في أعين الملايين.

وفي تلك اللحظة، لم يعد أحد يعرف من يطارد من :

البشر أم الظلال ؟

الفصل الثاني عشر

شهود باكستون

الولايات المتحدة الأمريكية ...

ميامي ..

2036 م ..

كانت الشمس تشرق ببطءٍ على ميامي حين دوّى البلاغ الجديد في أروقة قسم الشرطة، كطعنةٍ جديدة في قلب المدينة التي لم تلتقط أنفاسها بعد. لم تمضِ أيامٌ كثيرة على فضيحة اختراق الأنظمة الأمنية، حتى عاد القاتل ليضرب من جديد، هذه المرة في **حيّ واين وود**، الحيّ الذي ينام عادةً على جداریاتٍ ملونة ورسوماتٍ حالمة، لا على الدم والموت.

الضحية امرأة ستينية، تقيم وحيدة منذ سنوات، تكافح **سرطان البنكرياس** بصبرٍ وهدوء، يعرفها جيرانها بأنها لطيفة القلب، تمضي وقتها في الرسم وسقي نباتاتها الصغيرة.

حين دخلت جارتها صباحًا لتتفقدها كعادتها، وجدتها ساكنة على كرسيها الخشبي قرب النافذة، يداها مطويتان في حجرها، وجهها مائل قليلًا كمن أرهقه النعاس. على الطاولة بجانبها زجاجة مورفين شبه فارغة، وورقة مطوية بعناية بجانبها. حين وصل أرين، كان الجو مشبعًا بصمتٍ ثقيل، لا يشبه صمت الموت بل صمت ما هو أعمق : صمت المعنى المجهول.

اقترب ببطء، ثم التقط الورقة بيدٍ مرتجفة، فتحها على مهلٍ كما لو كان يخشى أن يتفجّر منها شيء.

قرأ الكلمات بصوتٍ خافت، يحمل مزيجًا من الغضب والدهشة:

(شهود باكستون – الحقيقة كالسرطان، تمتدّ و تتوسّع)

تجمدت ملامح وجهه للحظة، ثم أخذ نفسًا عميقًا وأغلق عينيه. لم يكن كمن يفكر، بل كمن يقاوم فكرة مرعبة تشق طريقها في ذهنه. سار نحو النافذة ونظر إلى الشارع الهادئ، السيارات تمرّ ببطء، والعابرون لا يدركون أنهم يعيشون في مدينة يسكنها شبح يسخر من الجميع.

قال بصوتٍ متقطع، يخاطب نفسه أكثر من مساعده باتريك :

= كأنه لا يقتل الأشخاص ... بل يقتل الأمل. كل ضحية تُسحب من نسيج الواقع كخيط، ومعها يبهت لون العالم أكثر".

تبادل باتريك ونونيز النظرات المرتبكة، بينما تابع الطبيب الشرعي بنبرته الجافة :

= الوفاة منذ نحو سبع ساعات ... لا آثار عنف. أغلب الظن جرعة زائدة من المورفين، طبيعية أو على الأرجح مدبّرة ..

أومأ أرين برأسه دون أن يعلق. لكنه لم يعطِ أوامره هذه المرة على الفور، بل جلس على كرسي قريب من الجثة، وأسند ذقنه إلى يده، ناظرًا إليها كما لو كانت مرآة لحالة

إنسانية مروعة. قال بصوتٍ هادئ، غارقٍ في الشرود :

= أن يموت الإنسان بمرضه شيء ... وأن يُستغل موته ليُقال شيء آخر، فذلك أشد أنواع القتل وحشية..

ثم نهض فجأة، وكأنّ شرارة داخلية أضاءت في رأسه، وأمر بصوتٍ حازم :

= أريد ل ما يمكن عن شهود باكستون، من الأرشيف، من التاريخ، من أي مكان. لا أريد تقريرًا، أريد خريطة... خريطة توصلني لعقل هذا الرجل ..

كانت نبرته مختلفة هذه المرة، ليست نبرة المحقق الصارم، بل نبرة إنسانٍ على وشك الانفجار من الغموض، يبحث عن ثقب في جدارٍ لا يرى له نهاية.

وعندما غادر المكان، لم ينظر خلفه كما كان يفعل عادة. بل مرّ بجانب الجثة دون أن يلتفت، كأنما بدأ يشك في أن الميت الوحيد في هذا المشهد هو الجسد.

وصل التقرير إلى مكتب أرين بعد ساعاتٍ من الانتظار الثقيل، يحمل على غلافه ختم وزارة الدفاع الأسترالية وتاريخًا يعود إلى منتصف القرن العشرين. فتحه ببطءٍ، والورق الأصفر يتنفس رائحة العتق، كأنّه يحمل سرًّا دُفن طويلًا تحت رمال الزمن. على الصفحة الأولى كُتب بخطّ آليّ باهت :

(ملفّ باكستون – الحادثة رقم **1953/117**، مقاطعة نيو

ساوث ويلز، أستراليا.

بدأ التقرير بسردٍ دقيق، يصف قرية صغيرة تُدعى باكستون، كانت آنذاك مجرد مجموعة من المزارع والبيوت الطينية المحاطة بغابات الأوكالبتوس، تبعد نحو مئة كيلومتر عن سيدني. في ليلةٍ من ليالي أواخر الخريف، حين غطّى الضباب الوادي وبدت السماء أقرب إلى الأرض، سُمع في القرية صوتٌ يشبه الهدير لكنه لم يكن هدير طائرة، بل اهتزازٌ يشبه أنين المعدن تحت ضغطٍ هائل.

في تلك الليلة، تمامًا عند الساعة الثانية والربع بعد منتصف الليل، أفاد أكثر من اثني عشر شاهدًا، بينهم معلم المدرسة وراعي غنم وممرضة من العيادة المحلية، برؤية جسمٍ معدنيّ مضيءٍ يحلّق فوق الحقول ثم يهبط ببطء في منطقة مقفرة تُعرف باسم السهول الحمراء ، على بُعد خمسة كيلومترات من مركز القرية.

واحد من الشهود، ويدعى تشارلز هينسلي، قال في إفادته :

{ كان كقرصٍ فضيٍّ مفلطح، يدور في صمتٍ تام. لا ضوء يصدر منه، بل توهّجٌ من الداخل، كأن النار مشتعلة تحت الجلد المعدني }

وفي الساعات التي تلت، هرع رجال الشرطة المحليون إلى المكان، فوجدوا آثار احتراقٍ دائرية على الأرض، والنباتات حولها متيبّسة كأنّها شاخت فجأة. لم يُعثر على أي جسمٍ معدنيّ، لكن أحد الضباط، ويدعى ويليام بايرون، سجّل في تقريره أنه رأى ظلالًا بشرية صغيرة القامة تتحرك بين الأشجار بسرعةٍ غير مألوفة، واختفت لحظة تسليط الضوء عليها.

بعد ثلاثة أيام، أُغلق الملف رسميًا بأمرٍ من الحكومة الأسترالية، التي علّلت الحادثة بأنها اختبار طيرانٍ فاشل لجهاز مراقبة من الجيش الأمريكي. إلا أن سكان القرية أقسموا على أن ما رأوه لم يكن طائرة، بل شيئًا "لم يُصنع على الأرض ..

الفقرة الأخيرة من التقرير كانت الأغرب، بخطّ اليد الأحمر لأحد الباحثين الميدانيين الذين شاركوا في التحقيق :

{ لم أجد دليلًا مادّيًا، لكنّني وجدت خوفًا لا يمكن تزويره في أعين الناس. هؤلاء رأوا شيئًا جعلهم يشكّون في معنى الوجود ذاته. ومنذ تلك الليلة، لم تنم باكستون كما كانت }

و تبقى هذه القضية من أغرب القضايا المتعلقة بالفضائيين حتى يومنا هذا)

أنهى أرين القراءة ببطء، ثم أسند رأسه إلى الكرسي، يحدّق في سقف مكتبه، وأصابع يده تعبث بالحافة المعدنية للتقرير. أحسّ بشيءٍ غريب يزحف في داخله، إحساس أن الخطوط التي تفصل الجرائم التي يحقق فيها عن تلك الحوادث القديمة، بدأت تتلاشى، كأنّ يدًا واحدة ترسمها عبر الزمن.

ساد شعور بالانكسار والارتباك في أروقة أجهزة المخابرات الأمريكية كما لم يحدث من قبل. كانت مكاتب **FBI** و **CIA** تعج بالمستندات المفتوحة، الشاشات التي تتوهج بالأحرف والأرقام، والهواتف التي ترن بلا انقطاع، لكن كل هذه الحركة لم تكن سوى حركة ميكانيكية بلا جدوى حقيقية. كل عميل، كل مسؤول، وكل محلل يجلس على مكتبه وكأنه يراقب حائطًا ضخمًا من الغموض، يحاول تفسير شيء لا يُفسَّر، والتقارير تتوالى دون أن تحمل أي خيط يقود إلى القاتل أو إلى المنطق الذي يحكم أفعاله.

في الداخل، بدأ اليأس يتسلل كسم بطيء، فالعجز لم يكن تقنيًا فقط، بل كان عقليًا وروحيًا. كل اختراق، كل جريمة جديدة، كل ورقة مطوية تظهر على مسارح الجرائم السابقة، جعلت العملاء يشعرون بأنّهم مجرد مراقبين عاجزين أمام كيان يتصرف كما لو كان خارج حدود البشر. الاجتماعات الطارئة صارت أشبه بمحاولاتٍ يائسة لاحتواء الانفجار الداخلي، بينما كانوا يسمعون في الخارج صدى جرائم القاتل يتردد عبر الإعلام.

وبينما كان العاملون في أجهزة الدولة يغرقون في هذا

الإحباط، بدأ التيار الشعبي ينقلب بطريقة لم يتوقعها أحد. المنتسبون إلى طائفة أبيدوس ازدادوا بشكلٍ مذهل، وسرعان ما أصبحوا يتحدثون بفخر عن معتقداتهم على وسائل التواصل الاجتماعي، يرفعون شعار عين حورس المتداخلة مع وجه الكائن الفضائي، ويؤكدون على أن الفضائيين ليسوا مجرد أساطير، بل سادة الكون الذين يفهمون الحقيقة أكثر من أي حكومة على الأرض.

المراقبون لاحظوا التغير على الفور : أولئك الذين كانوا ينتقدون الطائفة في البداية، صاروا يترددون، ثم يبدؤون بالمشاركة في النقاشات عبر الإنترنت، يعلقون على المنشورات، ينشرون مقاطع الفيديو، ويكتبون مقالات صغيرة يروّجون فيها لفلسفة الطائفة. يبدو وكأن الخوف الذي زرعته الجرائم السابقة قد تحول إلى شعور بالانتماء، وكأن الناس يبحثون عن حماية نفسية عبر التماهي مع قوة أكبر، غير مرئية، تتجاوز قدرات البشر.

في قلب كل هذا الانهيار، جلس أرين يتابع التقارير، ووجد نفسه محاطًا بمزيجٍ من الإحباط والدهشة. وكأن الحكومة كلها تنهار ببطء، بينما أبيدوس تزدهر في الظل، وتحوّل الخوف العام إلى قوة جماعية صاعدة. كان واضحًا أن الدعم الشعبي للحكومة، الذي كان مصدر القوة والشرعية لها، قد انجرف بالكامل نحو هذه الطائفة، تاركًا أجهزة الدولة في مواجهة معركة بلا معسكر واضح، ضد عدو يبدو أقوى من كل ما عرفوه من قبل.

في هذه اللحظات، شعر الجميع في أروقة المخابرات بأنهم ليسوا مجرد متأخرين عن الأحداث، بل مجرد شهود عاجزين على تحوّل العالم أمام أعينهم، وأنه مهما بذلوا من جهود، فإن القوة الحقيقية صارت في أيدي أولئك الذين وجدوا في أبيدوس ملاذًا للمعرفة والخوف معا.

الفصل الثالث عشر

القربان الأخير

الولايات المتحدة الأمريكية ...

ميامي ..

2036 م ..

كانت ميامي قد تنفست أخيرًا بعد شهرين من الصمت. لم تقع أي جريمة جديدة، ولم تظهر أي ورقة مطوية تحمل تهديدًا أو لغزًا جديدًا. المدينة التي عاشت على الترقب والرعب، بدأت تتعافى ببطء. العناوين في الصحف استبدلت قصص الرعب بأخبار الزفاف، والناس عادوا إلى المقاهي والشواطئ، يتحدثون عن الحياة كأن الكابوس انقضى.

في تلك الأثناء، كانت الزهور تُزين قاعة الزفاف على شاطئ باي سايد، والموسيقى الناعمة تنساب كهمس البحر. أرين وماريسا أخيرًا معًا، بعد رحلة طويلة من القلق والعمل والخطر. بدت ماريسا كأنها تحمل على وجهها طمأنينة مؤقتة، و رضا يساوم الظروف.

أمسك أرين بيدها، وقال أمام الحضور بصوتٍ مبحوح من التأثر :

= لقد عشت بين الجرائم والظلال، لكنك كنتِ ضوئي الوحيد الذي لم يُطفأ..

صفق الجميع، وتعانقت الوجوه، وامتزجت دموع الفرح بذكريات الخوف القديمة. في تلك الليلة، آمن الجميع أن

صفحة الرعب قد طويت، وأن الحياة منحت المدينة فصلًا جديدًا.

في صباح اليوم التالي للزفاف، كانت الشمس تطرق نوافذ البيت الصغير في ساوث بيتش، بينما تستيقظ ماريسا ببطء. عندما خرج أرين من الحمام عاري الصدر، توقفت عيناها فجأة عند شيء لم تتوقعه. على ظهره، الممتد من الكتف إلى منتصف العمود الفقري، كان هنالك وشم لوجه كائن فضائي، بملامح دقيقة كأنها محفورة بإزميل.

لقد نشأت في عائلة مسيحية محافظة، و لم ترَ أرين عارياً من قبل ، لذا لم ترَ الوشم أيضاً .. ارتجف قلبها قليلاً.. لم تقل شيئًا ، لكن هذا الوشم بالتحديد لم يكن مجرد رمز ، كان إشارة لما يثير الرعب ذاته في قلب المدينة.

لم تسأله عنه لأن حكمتها كطبيبة نفسية لجمت لسانها ، لكن ملامحها تغيرت. وبخبرتها الطويلة في قراءة الوجوه ، رأت

خلف عينيه ظلاً غريبًا لم تلحظه من قبل، مزيجًا من الغرور والقداسة، كما لو أن شيئًا بداخله يعتقد أنه يرى ما لا يراه البشر.

****

بعد انتهاء عطلة الزفاف التي جاهدت فيها ماريسا كي تتصرف بشكل طبيعي، عاد أرين إلى عمله كمحقق، تاركًا ماريسا وحيدة في المنزل الجديد. لم تستطع مقاومة فضولها الذي تحول إلى هاجس. كانت تشعر بأن شيئًا مظلمًا يختبئ خلف الهدوء المبالغ فيه الذي يحيط أرين نفسه به.

جلست إلى مكتبه، وبدأت تتفحص الأدراج ببطء، حتى وجدت أحدها مغلقًا. بحثت هنا و هناك فوجدت مفتاحًا صغيرًا كان موضوعًا في مزهرية جانبية، مدت يدها و فتحت الدرج بيدٍ ترتجف.

في الداخل وجدت ورقة مطوية بعناية. فتحتها بحذر، وقرأت ما كتب بخطٍ داكن واضح :

تجمدت الدماء في عروقها. فتحت هاتفها بسرعة، وبحثت عن صور الأوراق التي وجدت الشرطة مثلها في مسارح الجرائم، لكن هذه العبارة لم تكن بينها على الإطلاق ..

لم يكن هنالك أي تفسير بريء. الورقة فتحت الباب على أسئلة كثيرة و فرضيات مظلمة لا تنتهي ..

ارتعش جسدها. تسارعت أنفاسها. حاولت إقناع نفسها بأنها تبالغ أو تتوهم ، لكنها لم تستطع تجاهل ذلك الصوت الخافت الذي يهمس في عقلها : إنه هو.

بدأت تبحث في كل أرجاء البيت، كمن يبحث عن اعترافٍ مدفون. وفي زاوية الممر المؤدي إلى المطبخ، لاحظت بابًا صغيرًا في الأرضية، يوصل إلى القبو. كان مغلقًا بإحكام.

تذكرت كيف علمتها صديقتها في الجامعة فتح الأقفال ببطاقة ائتمان ، جربت، ونجحت.

نزلت على السلالم المظلمة، وقلبها يدق بعنف. كان الظلام كثيفًا، استعانت بفلاش هاتفها. وما إن سقط الضوء على الجدار حتى شهقت بصوتٍ خافت.

كانت الغرفة مليئة بصور لفضائيين ، مجسمات لأطباق طائرة، وجوه لكائنات فضائية من الجبس، خرائط مرسومة بخط يدوي، و شعارات متنوعة ذات دلالات كونية.

وفي المنتصف، محراب صغير مضاء بشمعة ذائبة فوقه شعار عين حورس المتداخلة مع رأس فضائي ، مع مجسم

لفضائيين ثلاثة في مركزه مقتبس من الفلسفة : (لا أرى .. لا أسمع .. لا أتكلم ..) في إشارة إلى غموض الفضائيين من جهة ، و تعتيم الناس على حقيقتهم من جهة ثانية ..

تراجعت خطوة إلى الوراء، والدموع تملأ عينيها. فهمت كل شيء في لحظة. القاتل كان يعيش معها، يأكل معها، ويحبها كل ليلة، بينما يخفي خلف عينيه هوسًا مقدسًا.

لكن قبل أن تدير ظهرها للمغادرة، سمعت خطوات خلفها.

أضيئت الغرفة بالكامل فجأة. كان أرين واقفًا كتمثال من حجر، عاري الوجه من كل قناع، ينظر إليها بنظرة باردة.

قالت بصوتٍ مرتجف و هي تكاد لا تستوعب ما يحدث :

= أنت ... أنت .. أنت القاتل !!؟

أجابها بهدوء مريب، كمن يشرح حقيقة علمية بسيطة :

= نعم ... لكنها لم تكن جرائم .. كانت قرابيناً للحقيقة.

أشار إلى شاشة هاتفه فرأت غرف المنزل عليها في بث حي، وأدركت أن الكاميرات المخفية في المنزل كانت تنقل له كل ما فعلته منذ لحظة جلوسها على مكتبه.

سألته والدموع تسيل على وجهها :

= لكن لماذا ؟ لماذا فعلت كل هذا ؟

ابتسم ببرود وقال :

= لأن الفضائيين حقيقة لا ريب فيها. كنت أبحث عنهم منذ مراهقتي. جمعت الأدلة، الصور، الشهادات حتى تيقنت من وجودهم . ثم منذ عامين قادتني الصدفة أو ربما الفضائيون أنفسهم إلى الباحث **ناثانيال كورن**. الرجل الوحيد الذي فهم ما أريد. كانت فكرته أن يؤسس طائفة تجمع المؤمنين بقدومهم. اتفقنا على أن نجعل الناس يرون الحقيقة بأعينهم، أن نجعلهم يخافونها أولًا ، ثم يؤمنون بها ، من منطلق الاقتناع و الترهيب معاً ، فالناس لا يلتفتون إلى الأدلة إلا إذا كانوا في خطر ، لذا لا يتذكر البشر السماء إلا في حالات الانهيار.

سكت لحظة ثم تابع :

= هو ومجموعة من أتباعه اخترعوا حادثة الشاب كايلي الشهيرة . صمموا طبقًا طائرًا وتنكّروا في هيئة فضائيين، حتى صدق الشاب ما رأى و نشر تصويره على الإنترنت. أما أنا، فقد توليت المهمة الأصعب ... أن أزرع الرعب. كنت أدخل بيوت الضحايا بصفتي الأمنية بلا اقتحام أو

مقاومة ، أنفذ طقوس التضحية ثم أترك أوراقي، فأدفع الناس بالقوة إلى البحث في الأرشيف الواسع لحوادث الفضائيين على كوكبنا. هكذا تنشأ الحاجة إلى الإيمان، وتصبح طائفة أبيدوس خلاصًا من الخوف الذي صنعته أنا .. أما حادثتا إطلاق النار على طلاب المدرسة و تهكير مواقع مراكز المخابرات فنفذها أعضاء متخصصون للغاية في الطائفة.

تراجعت ماريسا خطوة، بالكاد تلتقط أنفاسها من الدهشة و الفزع ، وهمست بصوت متهدج :

= أنت ... مريض، أرين .. هذا هوس .. و كورن ذاك مصاب بجنون العظمة لا أكثر ..

نظر إليها طويلاً، ثم قال بصوتٍ منخفض :

= ربما ... لكنكِ قلتِ لي مرة **أن كل مرضٍ هو لغز يستحق الحل** ، و لهذا السبب اخترت القرابين البشرية مصابة بأمراض تخليداً لمقولتك الذهبية هذه .. أنا مهووس بالفضائيين و الحل كان بإثبات حقيقة وجودهم ..

اقترب منها ببطء و عيناه تنضحان رعباً و مرضاً.

= ماذا ستفعل بي ؟

قال ببرودٍ يقشعر له البدن :

= أحبك، ماريسا ... لكنكِ رأيتِ ما لا يجب أن يُرى. لذا للأسف، ستكونين أنتِ القربان الأخير في هذه القصة.

مد ذراعيه و أحكم الخناق على عنقها ، فيما كانت تحاول

التملّص عبثًا. ارتخت أطرافها شيئًا فشيئًا، ثم خمدت أنفاسها و سقطت بصمتٍ تام.

ركع أرين قرب جثتها و هو يبكي كأي مختل سايكوباثي ، ثم حملها إلى الخارج، ووضعها خلف مقود سيارتها في المرآب.

عاد بعدها إلى مكتبه و كتب ورقة جديدة تحمل الجملة الأخيرة :

(الزوجان بيتي و بارني – أوقفوا التحقيق، تتوقف الجرائم)

ثم وضعها أمام المقود ، أراد أن يوهم الشرطة و الناس بأن القاتل انتقم منه بسبب تحقيقه في جرائمه فقتل زوجته .. و استخدم قصة الزوجين بيتي و بارني الشهيرة اللذين ادعيا أن فضائيين اختطفوهما و أجروا عليهما تجارب عام **1961** أثناء عودتهما من كندا إلى أمريكا ، كي يعزز موقفه ..

****

كانت الجريمة الأخيرة بمثابة الصدمة الأكبر للشرطة ، الحكومة و الناس ، تعاطف الجميع مع دموع أرين الكاذبة و فجيعته التي صنعها بيديه ، و كان القرار واضحاً : **توقيف التحقيق كمداهنة للقاتل و رؤية العواقب .**

وبالفعل، توقفت الجرائم تمامًا منذ تلك الجريمة ..

لكن الحقيقة كانت أبشع مما تخيله أحد و دفنت مع مكتشفها.

ماريسا - الضحية الأخيرة - كانت الوحيدة التي كشفت هوية القاتل و شخصت مرضه دون أن تنجو منه، فرحلت قبل أن تكشف للعالم أن القاتل كان الرجل الذي وعدها بالأمان.

أما طائفة أبيدوس، فقد نمت وتوسعت بلا توقف، من قاعات أيوا إلى شوارع باريس .. من حقول أبيدجان إلى جبال لاباز و ساحات طوكيو. وُلدت من كذبة، وتغذت على الخوف، وصارت دينًا عالميًا جديدًا.

ربما، في مكانٍ ما في هذا الكون، هناك حقًا من يراقبهم جميعًا، يبتسم في سكون الفضاء اللامتناهي ...

لكن المؤكد أن كل حادثة تُنسب إلى الفضائيين ليست حقيقية بالضرورة ، قد تكون مختلقة أو وهماً أو تفسيراً مشوهاً ، فالبشر أيضًا يعرفون كيف يخلقون آلهتهم من الوهم، ثم يعبدونها حتى الموت.

أبيدوس ..

المحتويات :

- الليلة الأخيرة بعد الألف ..
  - القادمون من وراء الضوء..
- أقراص دروبا ..
  - كهوف تاسيلي ..
- تماثيل أكامبارو ..
  - تسونامي صحفي ..
- هيكل أتاكاما ..
  - مدرسة زيمبابوي ..
- فالين سولي ..
  - طائفة أبيدوس ..
- لغم روزويل
  - شهود باكستون ..
- القربان الأخير ..

أبيدوس ..